الحج

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

الأركان الأربعة
فى ضوء الكتاب والسنة
مقارنة بالأديان الأخرى
(٤)

الحج

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

www.abulhasanalinadwi.org

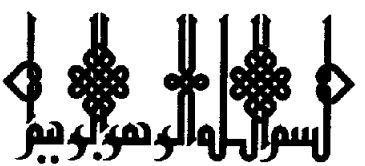

www.abulhasanalinadwi.org

الحج

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٩] .

الإسلام دين توحيد وتجريد ، لا وساطة فيه ولا تمثيل :

الإسلام دين توحيد خالص ، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه [١] ، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الإنسان تفكيره ، ويصرف إليه همته ، ليتخيل به الإله الذى لا تدركه الأبصار ، ويرتبط به فى خياله ، ويتمسك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ، ولا صور ولا أصنام ،

---

(١) إلا الرسل والأنبياء ، بمعنى أنهم واسطة بين الخالق والخلق فى تبليغ الرسالة ، والتعريف بالله وصفاته ، وما يليق به ، وما لا يليق ، والإرشاد إلى الطريق المستقيم .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا هياكل ولا طبقة كهّان ولا سدنة ، ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة :١٨٦] ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر : ٢، ٣] .

إذًا فالإسلام دين يطلب تجردًا فى الخيال ، وسموًا فى الفكر ، ونقاء فى الإرادة والنية ، وإخلاصًا فى العمل والتطبيق ، وانقطاعًا عن الغير ، لا يتصور فوقه وأكثر منه، ومستوى فى الفكر والعقيدة ، لم تبلغ الإنسانية ولا الأديان والفلسفات ، والنظم الدينية أو العقلية إلى مثله أو قريب منه ، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقّة والسمو ، فقال : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١] .

www.abulhasanalinadwi.org

حاجة الإنسان إلى «مشاهد» يوجه إليه أشواقه ، ويحقق رغبته من التعظيم والدنو :

ولكن الفطرة البشرية ، هى الفطرة البشرية ، فالإنسان مازال ــ ولا يزال ــ باحثًا عن شيء يراه بعينه ، فيوجّه إليه أشواقه ، ويقضى به حنينه ، ويشبع به رغبته الملحّة ، فى التعظيم والدنو .

شعائر الله وحكمتها :

وقد اختار الله أمورًا ظاهرة محسوسة ، اختصّت به ، ونسبت إليه ، وتجلت عليها رحمته ، وحفّتها عنايته بحيث إذا رؤيت ذكر الله ، وارتبط بها وقائع وحوادث ، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ، وسمّاها «شعائر الله» (١) التى جعل تعظيمها تعظيمه ، والتفريط فى جنبها تفريطًا فى جنبه ، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن فى نفوسهم ، ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة ، بل حثّ على

(١) اقرأ البحث اللطيف فى ذلك ، فى حجة الله البالغة ، لحكيم الإسلام أحمد ابن عبد الرحيم الدهلوى (ج١ ــ ص٥٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك، ودعا إليه فقال : ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] وقال : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج : ٣٠] .

عنصر الهيام والحنان فى طبيعة الإنسان ، أثرهما فى الحياة، ومنزلتهما من الدين :

ثم إن الإنسان ، ليس عقلاً مجردًا ، ولا كائنًا جامدًا يخضع لقانون ، أو إرادة قاسرة ، ولا جهازًا حديديًا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم ، أو على خط مرسوم ، إن الإنسان عقل وقلب ، وإيمان وعاطفة ، وطاعة وخضوع، وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفى ذلك سر عظمته وشرفه وكرامته ، وفى ذلك سر قوته وعبقريته وإبداعه ، وسر تفانيه وتضحيته ، وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وأن يصنع العجائب والخوارق ، واستحقّ أن يحمل أمانة الله التى اعتذرت عنها السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الإنسان ، ووصل إلى ما لم يصل إليه ملك مقرب ، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد .

www.abulhasanalinadwi.org

إن صلة هذا الإنسان بربِّه ، ليست صلة قانونية عقلية فحسب ،يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه ، ويخضع أمامه ، ويطيع أوامره وأحكامه ، إنما هى صلة حبّ وعاطفة كذلك، صلة لابد أن يرافقها ، ويقترن بها ، ويتحكَّم فيها حنان وشوق ، وهيام ولوعة ، وتفان وتهالك، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو إليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] وتارة يقول: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٢٤] ويذكر أنبياءه ورسله، وينوِّه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم فى هذا الحبّ ، فيقول عن يحيى عليه السلام : ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم :١٢، ١٣] ويحكى قصة خليله إبراهيم كيف آثر حبّ الله وطاعته على حب

www.abulhasanalinadwi.org

ولده ، وفلذة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى شهد ربّه بصدقه وحسن بلائه ، وقال : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٤ــ ١٠٦] ولذلك قال فى وصف إبراهيم : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] .

« الصفات» هى التى تثير الحب ، وتبعث الحنان؛ لذلك أطال وأكثر من ذكرها القرآن :

وذلك سر إطالة القرآن فى ذكر صفات الله وأفعاله ، وآلائه ونعمائه ، وإشادته بها ،والعودة إليها مرة بعد مرة ، فإن الصفات هى التى تثير الحب وتبعث الحنان ، وتوجد الأشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن الذى يعبّر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الإسلام ، (بالنفى المجمل والإثبات المفصّل) [١] فإن الإثبات هو الذى ينبع منه الحب ، ويفيض منه الحنان ، وتنبعث به الأشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فإذا كان النفى رائد العقل ، كان الإثبات رائد القلب ،

(١) التعبير لشيخ الإسلام ابن تيمية .

www.abulhasanalinadwi.org

ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى ، التى نطق بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتغنَّى بها العارفون ، وسبّح بها المسبِّحون ، وسبح فى بحارها ، ونزل فى أعماقها الغواصون ، لكان هذا الدين خشبيًا جامدًا ، لا يملك على أتباعه قلبًا ، ولا يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حماسة ، ولا يحدث فى القلب رقة، ولا فى الصلاة خشوعًا ، ولا فى العين دموعًا ، ولا فى الدعاء ابتهالاً ، ولا فى الجهاد تفانيًا ، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح ، ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة خشبية ، لا عاطفة فيها ولا أشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، وإذًا : أى فرق بين الحياة والموت ، وبين الإنسان والجماد ؟! .

ما قيمة كأس لا تطفح ولا تفيض ؟ :

لقد كان المسلم فى حاجة إلى غذاء للقلب ، وإلى زاد للعاطفة ، وإلى أن يقضى شوقه ، ويروى غلته مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان فى حاجة إلى أن تطفح كأسه، فما قيمة كأس تمتلئ ولا تطفح؟ وكان فى حاجة إلى أن تفيض هذا الكأس، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض؟ .

www.abulhasanalinadwi.org

تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه :

وقد تفطَّن حجة الإسلام الغزالى بذكائه النادر ، وفقهه الدقيق لأسرار التشريع لهذه النكتة ، وعرف أن الشوق غريزة فى الإنسان الحى السليم ، وحاجة من حاجاته ، فيبحث له عما يقضى به حاجته ، ويروى غلته، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر الله ، والحج وما فيه من مناسك ، خير ما يحقق رغبته ، ويسلى حنانه وعاطفته ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ [الحج: ٢٦ ــ ٢٩].

يقول الغزالى :

« فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب

www.abulhasanalinadwi.org

اللقاء لا محالة ، هذا مع أن المُحبّ مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة ، فضلاً عن الطلب لنيل ما وُعد عليه من الثواب الجزيل » (١) .

ويردفه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى، فيشير إلى نفس النكتة ، ويجعلها حكمة الحج الأساسية ، فيقول :

« وربما يشتاق الإنسان إلى ربه أشد شوق ، فيحتاج إلى شيء يقضى به شوقه فلا يجده إلا الحج » (٢) .

لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، وأن يبرز هذا الحنان ، وأن تفيض كأسه فى الصلوات التى يصليها كل يوم، فيسلى بها قلبه، ويطفئ بها غلته، ويهدئ بها ثائرته، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعًا ، أو تسقط دموعًا ، إنها قطرات قد لا تفى بما يجيش فى الصدر من حنان وولوع ، وهى قطرات قليلة فى بعض الأحيان لا تسمن

(١) إحياء علوم الدين : ج١ ص٢٤ . (٢) حجة الله البالغة : ج١ ص٥٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا تغنى من جوع .

طفرة أو قفزة واسعة من سجن ضيق إلى عالم فسيح :

وكان للمسلم أن يروى ظمأ روحه ، ويقضى حاجة حنانه ، ويكسر سورة نفسه ، ويثور على « وثنية » عاداته ومألوفه ، وأن يغذى روحه بتخلية معدته فى شهر رمضان، ولكنها ساعات محدودات كذلك ، محفوفة بما يخفف أثرها ، ويضعف سلطانها ، من أكلة متخمة وريّ مسرف ، وراحة منعمة ومجتمع ثائر ، ومدينة قد أحاطت بالصائم ، كما تحيط البحار المتلاطمة بجزيرة صغيرة ، فكان المسلم ــ بكل ذلك ــ فى حاجة إلى طفرة ، أو قفزة واسعة يفك بها أغلاله وسلاسله ، وينسلخ بها من سجنه الضيق القديم ، العتيق الخالق ، وينتقل من عالم كله قديم مألوف ، ومقيد محدود ، ومخطوط مرسوم ، ومصنوع معمول ، إلى عالم كله جديد وطريف ، وحر منطلق ، وثائر مارد ، كله حب وغرام ، وشوق وهيام ، قد تحرر من كل رق ، وثار على كل وثن ، وكفر باختلاف الجنس واللون والوطن ، وآمن بوحدة الإلهية ، وبوحدة المنعم

www.abulhasanalinadwi.org

والوهاب ، وبوحدة الإنسانية ، وبوحدة العقيدة ، وبوحدة المطلوب ، وهتف الناس جميعًا بصوت واحد : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

لقد كان المسلم فى حاجة ــ بعد هذه الصلوات ، التى يصليها كل يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذى يصومه كل عام، وبعد الزكاة ، التى يقوم بها إذا تم النصاب وحال الحول ــ إلى أن يشهد موسمًا هو ربيع الحب والحنان ، وملتقى المحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .

تحد لعبَّاد العقل والمادة ، ودعوة إلى الإيمان بالغيب ، واتباع الأمْر المجرد :

وكان المسلم فى حاجة إلى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد المطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ . وكان فى حاجة إلى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات ، وقوانين وضعية ، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس ، ويفك قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ، الذى استبد به زمانًا طويلاً ،

www.abulhasanalinadwi.org

ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاءا ، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب فى الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت عليه الحضارة ، وتسلطت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن أسرته العادات والمألوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعًا منقادًا ، مسلمًا مستسلمًا ، من اعتمد دائمًا على عقله لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، ويعرف فوائده المادية المحسوسة . والحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للمألوف المعروف ، لعبّاد العقل والمادة ، وأسارى النظم والترتيبات ، ودعوة إلى الإيمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود ، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان ، وفى كل زمان ومكان .

وقد أبدع حجة الإسلام الغزالى كل الإبداع فى بيان روح الحج وحقيقته ــ وهى الإيمان بالغيب ، والامتثال المطلق ــ وصوَّر بقلمه البليغ ، وريشته البارعة ، صورة

www.abulhasanalinadwi.org

الحج الرائعة ، وبلغ إلى لب الدين وجوهره ، وروح الإسلام وحقيقته فى شرح هذا الركن العظيم ، وقد غفل عن ذلك أكثر العلماء والكتّاب فى القديم والحديث ، يقول رحمه الله :

« ووضعه (أى البيت) على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق شعثًا غبرًا ، متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له ، خضوعًا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت ، أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتمّ فى إذعانهم وانقيادهم .

ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فإن الزكاة إرفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل ، والصوم كسر للشهوة، التى هى آلة عدو الله، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل. والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عزّ وجل بأفعال ،

www.abulhasanalinadwi.org

هى هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل ، فأما ترددات السعى ورمى الجمار ، وأمثال هذه الأعمال ، فلا حظ للنفوس ، ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط .

وفيه عزل للعقل عن تصرفه ، وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فإنَّ كل ما أدرك العقل معناه ، مال الطبع إليه ميلاً ما ، فيكون ذلك الميل معينًا للأمر وباعثًا معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ، ولذلك قال ﷺ فى الحج على الخصوص : « لبيك بحجة حقًا ، تعبدًا ورقًا » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها .

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد ، كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس ، وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفطنت لهذا ،

www.abulhasanalinadwi.org

فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة ، مصدره الذهول عن أسرار التعبدات ، وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى » (١) .

ويقول فى الرمى ، ويذكر أن العمدة فيه الانقياد والأمر المجرد :

« فأقصد به الانقياد للأمر إظهارًا للرق والعبودية ، وانتهاضًا لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والنفس فيه . ثم أقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى ، فى ذلك الموضع ، ليدخل على حجّه شبهة ، أو يفتنه بمعصية . فأمر الله عز وجل ، أن يرميه بالحجارة طردًا له وقطعًا لأمله ، فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده ، فلذلك رماه ، وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان ، وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان .

واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، وفى

(١) إحياء علوم الدين : المجلد الأول : ص ٢٤٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

الحقيقة ترمى به وجه الشيطان ، وتقصم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيمًا له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه»[١].

ويقول فى الذبح :

« فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل الهدى ، وارجُ أن يعتق الله بكل جزء منه جزءًا منك من النار ، فهكذا ورد الوعد ، فكلما كان الهدى أكبر ، وأجزاؤه أوفر ، كان فداؤك من النار أعمّ » [٢] .

« الحاج » طوع إشارة ، ورهين أمر :

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للإطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر المجرد ، وسعى وراء الأمر ، وتلبية وإجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل، ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع ، إنما هو طوع إشارة ورهين أمر ، ليست له إرادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال إلى

(١ ، ٢) إحياء علوم الدين ج١ : ص٢٤٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ، ويظل سحابة النهار مشتغلاً بالدعاء والعبادة ، وتحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال إلى المزدلفة ، ويقضى حياته محافظًا على الصلوات فى وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبدًا لصلاته وعاداته، فلا يصليها إلا بالمزدلفة جمعًا مع العشاء ، وتطيب له الإقامة فى المزدلفة، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال إلى منى .

وهكذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيّمين ، نزول وارتحال ، ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وإبرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

فضل المكان والزمان وموسم الحب والحنان :

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وإمام المخلصين ، وأشد الناس حبًا لله ،

www.abulhasanalinadwi.org

وأحبهم إلى الله فى عصره ، وأسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب والولاء ، والإخلاص والوفاء ، والإيثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها، فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والإخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الأنبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون المتفانون فى كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها، فطافوا حول البيت ، وسعوا بين الصفا والمروة، ووقفوا بعرفات ، وباتوا فى المزدلفة ، ورموا الجمرات ، ونسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، وفصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفائض بالإيمان والحنان الذى يعيشون فيه ، وطبقات الأمة ، التى يتصلون بها ويعاشرونها ، وفى هذا الالتقاء الدينى الروحى ، الذى لا نظير له على وجه الأرض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة إلى القلوب الميتة ، ويحرك

www.abulhasanalinadwi.org

الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخامدة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التى انطفأت ، أو كادت تنطفئ ، ويجلب رحمة الله .

وقد أشار العلماء العارفون إلى ما فى اجتماع المسلمين العظيم ، واجتماع هممهم ودعواتهم وقلوبهم الصادقة من تحريك لرحمة الله تعالى ، ومن تحريك للقلوب القاسية ، وإثارة للأشواق .

يقول حجة الإسلام الغزالى :

« فإذا اجتمعت هممهم ، وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم ، وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم ، وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ، ويدخر عنهم رحمة تغمرهم » (١) .

ويقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى:

« اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من

(١) إحياء علوم الدين : ج١ ، ص٢٤٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

الصالحين فى زمان ، يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصدِّيقين ، والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات، قد قصده جماعات من أئمة الدين ، معظِّمين لشعائر الله ، متضرعين راغبين وراجين من الله الخير ، وتكفير الخطايا ، فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قوله ﷺ : « ما رؤى الشيطان يومًا ، هو فيه أصغر ولا أدحر ، ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة» (الحديث) (١) .

وقال :

« ومن باب الطهارة النفسانية ، الحلول بموضع لم يزل الصالحون يعظمونه ويحلون فيه ، ويعمرونه بذكر الله ، فإن ذلك يجلب تعلق همم الملائكة السفلية ، ويعطف عليه دعوة الملأ الأعلى الكلية لأهل الخير ، فإذا حلَّ به غلب ألوانهم على نفسه » (٢) .

تجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية «إبراهيم» من أعظم مقاصد الحج :

ومن مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلة بإمام الملة

(١ ، ٢) حجة الله البالغة : ج١ : ص٥٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

الحنيفية ومؤسسها إبراهيم الخليل ، والتشبع بروحه ، والمحافظة على إرثه ، والمقارنة بين حياتنا وحياته ، وعرضها عليها ، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم ، وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطاء أو فساد ، أو تحريف ، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه ، فالحج عرضة سنوية للملة تضبط أعمال المسلمين وحياتهم ، ويتخلصون بها من نفوذ الأمم والمجتمعات التي يعيشون فيها .

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« (ومن مقاصد الحج) موافقة ما توارث الناس عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فإنهما إماما الملة الحنيفية ، ومشرعاها للعرب ، والنبى ﷺ بعث لتظهر به الملة الحنيفية ، وتعلو به كلمتها ، وهو قوله تعالى : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج : ٧٨] .

فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن إمامها كخصال الفطرة (١) ، ومناسك الحج ، وهو قوله ﷺ :

(١) قال النبى ﷺ : «عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية، =

www.abulhasanalinadwi.org

« قفوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث من إرث أبيكم»[١] .

إعادة قصة إبراهيم وتمثيلها فى الحج :

فمن أوضح ملامح الحج ، والروح المسيطرة على جميع أعماله ومناسكه ، هو الحب والهيام والتفانى ، وإعطاء زمام الجسم والفكر للقلب والعاطفة ، وتقليد العشاق والمحبين ، وإمامهم وزعيمهم إبراهيم الخليل ، فحينًا طواف الحب والهيام حول البيت الحرام ، وحينًا تقبيل الحجر الأسود والاستلام ، وحينًا سعى بين غايتين ، وتقليد ومحاكاة للأم الحنون ، حتى فى تؤدتها ووقارها ، وفى جريها وهرولتها ، ثم قصد (لمنى) فى يوم معين هو يوم التروية ، ثم قصد إلى (عرفات) ووقوف بساحتها وعرصاتها ، ودعاء وابتهال ، ثم بيتوتة فى المزدلفة ،

= والسواك، والاستنشاق بالماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم ، ونتف الإبط، وحلق العانة ، و انتقاص الماء ــ يعنى الاستنجاء» . قال الراوى ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة.(رواه أبو داود والترمذى ، والنسائى، وابن ماجه، ورواه أحمد فى المسند ، عن عائشة رضي الله عنها) .

(١) حجة الله البالغة : ج٢ ص٤٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

وعودة إلى (منى) وحلق ونحر ، اقتداء لسنة إبراهيم ومحمد عليهما السلام .

وأوضح ملامح هذا الحب والتقليد رمى الجمرات ، الذى ليس إلا تمثيلاً لما صدر عن الخليل ، وفى تقليد أعمال المحبين تأثير غريب فى انتقال عدوى الحب ، واتصال بالمركز الكهربائى ، الذى يجرى منه التيار ، ووسيلة إلى جلب رحمة الله وشمول عنايته ، وليس لمن ذاق حلاوة الحب منظر ، ألذُّ من هذا المنظر ، الذى يجتمع فيه المحبون الطائعون لتمثيل هذه القصة التى حدثت قبل آلاف من السنين ، ولكن الله أفاض عليها الخلود ، وطلب من جميع المحبين المخلصين إعادتها وتمثيلها ، إخزاءً للشيطان ، وتقوية للإيمان ، واقتداءً بخليل الرحمن .

قصة إبراهيم فى القرآن ، وصلتها بالبلد الأمين :

ولد إبراهيم فى بيت سادن من أعظم سدنة البلد ، ينحت الأصنام ويبيعها ، ويقوم على الهيكل الكبير ، ويتصل به عن طريق العقيدة ، وعن طريق الحرفة ، وما أعظم المشكلة ، وما أعقد العقدة ، إذا التقت العقيدة

www.abulhasanalinadwi.org

بالحرفة ، واجتمعت العاطفة الدينية مع المصلحة المالية ، ولا شيء فى هذا الجو القاتم يثير الإيمان والجنان ، ويبعث على الثورة على هذه الخرافة الوثنية ، ولكنه قلب سليم هُيِّئ للنبوة ، وأُعد لتكوين العالم الجديد ، ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٥١] إنه يبدأ ثورته بمرحلة ربما لا تصل إليها ، ولا تتناولها أعظم ثورة ، إنها مرحلة الحياة المنزلية ، ومرحلة البيت الذى ولد فيه الإنسان ، وفرض عليه أن يعيش فيه ، ويقع كل ما يحكيه القرآن فى أسلوبه المعجز المبين من تحطيم إبراهيم للأصنام ، وغضب عبادها وحيرتهم وعيِّهم، وانتقامهم من الفتى الثائر ، واشتعال النار وتحولها بردًا وسلامًا على إبراهيم ، ومناظرته البليغة ، أمام الملك الجبار [١] .

وتنتهى هذه الثورة إلى أن يضيق عليه البلد ، ويغضب عليه المجتمع ، وتطارده الحكومة ، فلا يحفل بكل ذلك ولا يحسب له حسابًا ، كأنه شيء كان منه على ميعاد ، وكأنه نتيجة طبيعية قد توقعها ، فيخرج من بلده قرير

(١) اقرأ الآيات : ٥١ ــ ٧٠ ، من سورة الأنبياء .

www.abulhasanalinadwi.org

العين، رضيَ النفس ، إذ نجا برأس ماله ، وهو الإيمان ، فيهيم فى أرض الله ، وهو فريد لا يعرف له ثانيًا ، والبلاد كلها نسخة واحدة من الوثنية والخرافة ، وعبادة الأوثان والشهوات ، حتى يهبط مصر ، فيكون هدف الامتحان والامتهان ، وينجو بصاحبته ، التى يطمع فيها الملك ، فيفلتان من يده ، ويأويان إلى أرض الشام ، فيغرس فيها الغرس الكريم ، ويلقى فيها عصا التسيار ، ويقوم فيها بدعوته إلى رفض الأوثان ، وإلى عبادة الله وحده.

وتطيب له الإقامة فى الشام حيث يتوفر الخصب ويتسع الرزق ، ويتجلى جمال الطبيعة ، فلا يلبث أن يؤمر بالتوجه إلى أرض تقابل الشام فى الخصب والماء ، وإبراهيم لا يعرف لنفسه حقًا ، ولا يرتبط بأرض أو وطن، إنما هو طوع إشارة ورهن أمر ، يعتبر العالم بلده والسلالة البشرية أسرته ، يؤمر بأن ينتقل مع زوجته (هاجر) ومولودها الصغير الرضيع .

وهنا فى واد ضيق ، أحاطت به الجبال الجرداء من كل جانب ، وقسا فيه الجو ، وفقد الماء ، وغاب الأنيس ، وأوحش المكان ، يؤمر بترك زوجته المرأة الضعيفة العاجزة،

www.abulhasanalinadwi.org

والمولود الصغير ، توكّلاً على الله وامتثالاً لأمره ، واستسلامًا لقضائه ، فلا جزع ولا فزع ، ولا إشفاق ولا حذر ، ولا سآمة ولا ضجر ، ولا خور فى العزيمة ولا ريبة فى الوعد ، تمرد على التجارب ، ومعاكسة للطبيعة ، وانقطاع عن الأسباب ، وإيمان بالغيب ، وثقة بالله ، حين تسوء الظنون وتزل الأقدام .

ويعرض المحذور والأمر الواقع ، فيغلب على الطفل العطش ، ويشتد بالأم الظمأ ، ولا مطمع هناك فى ثماد [1] تروى غلتهما ، وهنا تجيش فى المرأة عاطفة الأمومة والحنان والإشفاق على المولود الصغير ، فتخرج باحثة عن الماء ، أو عن سيارة تحمل الماء ، وتعدو مضطربة والهة بين جبلين، يغلب عليها الحنين والإشفاق على الولد ، فترجع لتطمئن إلى وجوده وحياته ، ويغلب عليها الخوف على الحياة ، فتعدو مسرعة تبحث عن ماء ، أو عن أثر إنسان ، وهى بين اضطراب توحيه الطبيعة ، وسكينة يوحيها الإيمان والثقة ، وتعرف ــ وهى زوج نبيٍّ وأم نبيٍّ ــ أن البحث

(١) الثمد : الماء القليل يتجمع فى الشتاء ، وينضب فى الصيف ، أو الحفرة يجتمع فيها ماء المطر ، جمعه : ثماد .

www.abulhasanalinadwi.org

عن الأسباب لا ينافى الإيمان والثقة بالله ، فهى مضطربة فى غير يأس ، ومؤمنة فى غير تعطل وتواكل، منظر لم تشهد السماء مثله ، وجاشت الرحمة الإلهية ، وتفجّر الماء بطريق معجز ، فكان ماء خالدًا مباركًا لا ينضب ولا يغيض، قد وسع الخلق ، ووسع الأجيال ، وكان ماء لكل عصر ، ولكل أمة فيه غذاء وشفاء ، وفيه بركة وأجر .

وخلد الله هذه الحركة الاضطرارية ، التى ظهرت من امرأة مؤمنة مخلصة ، فجعلها حركة اختيارية ، يكلف بها أعظم العقلاء ، وأعظم الفلاسفة والنبغاء ، وأعظم الملوك والعظماء ، فى كل عصر ، وفى كل جيل ، فلا يتم نسكهم إلا بالسعى بين هذين الجبلين اللذين هما ميقات كل محب ، وغاية كل مطيع ، والسعى خير ممثل لموقف المسلم فى هذا العالم ، فهو يجمع بين العقل والعاطفة ، وبين الحس والعقيدة ، إنه يستعين بالعقل ، ويستخدمه فى مصالح حياته ، ولكنه ينقاد أحيانًا للعاطفة ، التى هى أعمق من العقل ، إنه يعيش فى عالم قد حفّ بالشهوات ، وملئ بالزخارف والمظاهر ، لكنه يمر بينها ، كالساعى بين الصفا والمروة ، لا يُعرِّج على شىء ، ولا يتقيد بشىء ،

www.abulhasanalinadwi.org

إنما غايته وهمه ما يستقبله ، يعتبر حياته أشواطًا محدودة ، يقطعها طاعة لربه ، واقتداءً بسلفه ، لا يمنعه إيمانه عن البحث والسعى ، ولا يمنعه سعيه عن التوكل على الله والثقة به ، حركة قيمتها وروحها ورسالتها «الحب» و«الانقياد» .

ويكبر الولد ، ويبلغ السن التى تقوى فيها عاطفة الأبوة ، فيرافق والده ويسعى معه ، ويشعر الوالد العظيم الذى قويت فيه العاطفة الإنسانية ، وطبع على الحب والحنان بميل شديد إلى ولده وفلذة كبده ، وهنا المشكلة ، فإن قلبه هو القلب السليم الذى خص بالمحبة الإلهية ، إنه ليس كقلب كل إنسان ، إنه قلب « خليل الرحمن » ، والمحبة لا تعرف شريكًا ، ولا تحتمل عديلاً ، فكيف وهى المحبة الإلهية ، وهنا يتلقى إبراهيم إشارة بذبح الولد الحبيب ، ورؤيا الأنبياء وحى ، وتتكرر الإشارة ، فعرف أنه أمر يراد ، وأنه جد ، فيختبر ولده ، لأنه شىء لا يتم إلا بموافقته وجلادته ، فيجد عنده غاية البر، وغاية النجابة، وغاية التضحية والتسليم للأمر الإلهى ، وهو نبى

www.abulhasanalinadwi.org

ابن نبى ، وجد نبى ، ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

وهنا يقع ما لا يصدقه العقل ، فيخرج الوالد مع ولده النجيب الحبيب ، ذلك ليذبح ولده ، وهذا يطيع ربه ووالده ، وكلاهما مطيع للرب مستسلم لأمره ، وعرض لهما الشيطان ــ ذلك الذى تكفل بالضلال ، ومنع الإنسان من السعادة ــ فحاول صرفهما عن التنفيذ ، وزين لهما العصيان ، ورغَّبهما فى الحياة ، فاستعصيا عليه ، وأبيا إلا أن ينفذا أمر الله ، وهنا يقع ما تضطرب له الملائكة ، ويفزع له الإنس والجن ، فينتصب الولد للذبح، ويضع الوالد السكين على حلقومه يحاول جهده الذبح ، ووقع ما أراده الله ، فلم يكن المقصود ذبح إسماعيل ، إنما كان المقصود ذبح الحب الذى ينازع الحب الإلهى ويقاسمه ، وقد ذُبح بوضع السكين على الحلقوم ، إنما ولد إسماعيل ليعيش ويزدهر ويَنسِل ، ويولد فى ذرّيته آخر الأنبياء

www.abulhasanalinadwi.org

وسيّدهم ، فكيف يُذبح وكيف يموت ، قبل أن يتحقق ما أراده الله ؟ وفدى الله إسماعيل بكبش من الجنّة يُذبح مكانه ، وجعلها سنَّة باقية فى عقبه وأتباعه ، يذبحون أيّام النحر ويجدِّدون ذكرى هذا الذبح العظيم ، ويضحُّون فى سبيل الله ما يشترونه بحرِّ أموالهم :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ . سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٠٣ ــ ١٠٩] .

وخلد الله تمثيل قصة الشيطان مع إبراهيم ، وجعل رجمه بالحصى فى الأمكنة التى اعترض فيها لإبراهيم ينهاه ويصرفه ، عملاً يتكرر كل عام ، وقصة تُمثّل فى أفضل الأيام ، إثارة لبغض الشيطان ، وإظهارًا للتمرّد عليه والعصيان ، وهى حركة يشعر فيها المؤمن بلذة وحياة وعاطفة ، إذا صحّ فيه الإيمان ، واستقام فيه الفهم ، وكمل الانقياد للأوامر ، ويعرف أنه فى صراع دائم مع

www.abulhasanalinadwi.org

قوى الشر ،ومعركة مع إبليس وجنوده ، وأنّه ليس له نصيب منه إلاّ الرّجم والهوان .

ويدور الزمان دورته ، وإسماعيل الصغير شاب قوى، أكرمه الله بالنبوة والسيادة ، وقد أثمرت دعوة إبراهيم وتوسّعت وانتشرت ، وكان لابد لها من مركز تأوى إليه ، وتعتمد عليه ، وكثرت القصور للملوك ، والمعابد للطاغوت يطاع فيها الهوى ، ويعبد فيها الشيطان ، وليس لله على أرضه مسجد يخلص لعبادته ، ويطهر لقاصديه وعابديه ، فيؤمر إبراهيم بعد ما قام الدين على قدمه وساقه، وظهرت نواة الأمة المسلمة الحنيفية ، لبناء بيت الله تعالى ، يكون مثابة للناس وأمنًا ، ومعبدًا لله وحده ، فيتعاون الوالد والولد فى بناء هذا البيت البسيط المتواضع فى مظهره ، العميق الرفيع فى عظمته ، فينقلان الحجارة ، ويرفعان البناء ، **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** [البقرة : ١٣٧ ، ١٣٨].

www.abulhasanalinadwi.org

وقام البيت على أساس من إيمان وإخلاص ، ليس لهما نظير فى الدنيا ، وتقبّله الله بقبول حسن ، وقضى ببقائه ، وكساه الجمال والجلال ، وعطف إليه القلوب والنفوس ، وجعله مهوى الأفئدة ومغناطيس القلوب ، يودُّ الناس لو يسعون إليه على رؤوسهم ، ويصلون إليه ببذل مُهجهم ونفوسهم ، مع تجّرده عن كل ما يستهوى القلوب، ويستلفت الأنظار ، ووقوعه فى بلد بعيد عن جمال الطبيعة وبَهرج المدينة . ولما كان ذلك نودى إبراهيم: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج : ٣٧ ــ ٣٩] .

كان العالم فى عصر إبراهيم عليه السلام خاضعًا للأسباب ، واعتمد الناس عليها اعتمادًا زائدًا ، حتى أصبحوا يعتقدون أنها مؤثرة مستقلة قائمة بذاتها ، وحتى أصبحت أربابًا من

www.abulhasanalinadwi.org

دون الله ، وأصبح هذا الخضوع للأسباب وتقديسها والاعتماد عليها وثنيّة أُخرى غير الوثنيّة التى أغرقوا فيها وغَلوا ، من عبادة الأصنام والأوثان ، وكانت حياة إبراهيم ثورة على الوثنيين ، ودعوة إلى التوحيد النقى الخالص ، وتحقيقًا لقدرة الله الواسعة المحيطة بكل شىء وأنّه يخلق الأشياء من عدم ، وأنّه يخلق الأسباب ويملكها ، ويفصل الأسباب عن المسببات ، وينتزع عن الأشياء خواصها وطبيعتها ، ويستخرج منها أضدادها، ويسخّرها لما يشاء ومتى يشاء ، أشعل الناس له النيران ، وقالوا : ﴿**حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: ٦٨] ، وكان إبراهيم يؤمن بأن النار خاضعة لإرادة الله تعالى ، ليس الإحراق لها طبيعة دائمة ، لا تنفك عنها ، إنما هى طبيعة مودعة أمانة فيها ، إذا أراد أطلق لها العنان، وإذا أراد أمسك الزّمام ، وحوّلها إلى برد وسلام ، فخاضها مؤمنًا مطمئنًا واثقًا ، وهكذا كان ؛ ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩ ، ٧٠] .

www.abulhasanalinadwi.org

واعتقد الناس أنه لا حياة إلاّ بالخصب والميرة والماء الغزير ، فكانوا يرتادون لأسرهم وأبنائهم ويختارون لسكنهم ووطنهم أراضى مخصبة تكثر فيها المياه ، ويتوفّر فيها الخصب ، وتسهل فيها التجارة والصناعة ، وقد ثار إبراهيم على هذه العادة المتبعة والعُرف الشائع ، والاعتماد على الأسباب ، فاختار لأسرته الصغيرة ــ المكونة من أم وابن ــ واديًا غير ذى زرع ، لا زراعة فيه ولا تجارة ، منقطعًا عن العالم ومراكزه التجارية ، ومواضع الرخاء والثراء، ودعا الله تعالى أن يوسع لهم الرزق ويعطف إليهم القلوب ، ويجبى إليهم الثمرات من غير سبب وطريق معروف ، فقال : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

وأجاب الله دعاءه ، فضمن لهم الرزق والأمن ،

www.abulhasanalinadwi.org

وجعل بلدهم محطًا للخيرات والثمرات : ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٣ ، ٤] . تركهم فى أرض لا أثر فيها لماء يروى الغلّة ، ويبل الحلقوم ، فإذا بماء يفور من الرمال ، ويفيض من غير انقطاع يشربه الناس فى سخاء ، ويحملونه إلى بلدهم . ويترك أهله فى بلد قفر لا أنيس فيه ، فإذا به يُصبح مكانًا يؤمه الناس من كل صوب ، ويأتون إليه من كل فجٍ عميق .

وهكذا كانت حياة ابراهيم تحدِّيًا للمادية المسرفة الشائعة فى عصره ، وعبادة الأسباب واتِّخاذها أربابًا من دون الله ، ومثالاً للإيمان بالله وقدرته المطلقة ، وأن إرادته فوق كل شىء ، وهكذا كانت سنة الله معه ، يُخضع له الأسباب ويخلق له ما تحار فيه الألباب .

www.abulhasanalinadwi.org

الحج تخليد لخصائص إبراهيم ومآثره ، وتجديد لدعوته وتعاليمه :

والحج ومناسكه وما يحيط به من ذكريات، وحوادث، وما يتلبس به الحاجّ من التجرُّد عن المظاهر ، وما يأتى به من عمل ونسك ــ من إحرام ووقوف ، وإفاضة ، ورجم وسعى وطواف ــ تخليد لما اختص به إبراهيم عليه السلام من التوحيد ونفى الأسباب ، والتوكل على الله والتفانى فى سبيله ، وإيثار لطاعته ومرضاته ، وتمرّد على العادات والأعراف والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة ، وتجديد لذلك الإيمان القوى ، والحب العميق والتضحية الفائقة والإيثار الرفيع ، والحج ضامن لبقاء هذه المعانى السامية كلّها ، وهذه القيم الربانية كلّها ، وبقاء الجامعة الإسلامية الإنسانية التى هى فوق القوميات والعنصريات والوطنيات المحدودة المصطنعة ، ودعوة للناس إلى أن يسيروا على نهج إبراهيم ويتشبَّعوا بروحه ، ويقوموا بدعوته فى كل عصر وفى كل مكان ، ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى**

www.abulhasanalinadwi.org

النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨] .

عنوان جديد ، وخط فاصل فى كتاب الإنسانية :

إن إبراهيم ودعوته وجهاده عنوان جديد ، نيِّر مشرق فى كتاب الإنسانية وامتدادها ، ينفصل به التاريخ عن التاريخ ، وتتوزّع به الإنسانية بين المعسكرين يخلدان مع الزمن ، ويبتدئ به عهد وينتهى به عهد ، وقد جعل الله لإبراهيم الإمامة الخالدة والكلمة الباقية ، وجعل فى ذريته النبوة والولاية ، والوصاية الدينّية على العالم للأبد ، وكتب لأسرته ومن دخل داره ، الجهاد للحق ، والوقوف فى وجه الباطل إلى آخر الأبد ، والدعوة إلى الله ، وتجديف سفينة البشرّية فى عواصف هوجاء، وأمواج عاتية، والمحافظة على هذا السراج من أن ينطفئ، وهو العامل البنّاء الوحيد الذى استعمله الله فى إسعاد البشرية وعَصمها من تخريب العالم وتدمير الإنسانية ، وسوقها إلى الجحيم .

عماد الإنسانية ، وقيام للناس :

والحج وشهود الموسم ، والتقاء أبناء ملّة إبراهيم فى

www.abulhasanalinadwi.org

مكة كل عام ، هو كاف لبقاء هذه الصلة ، بين إبراهيم وأتباعه ، وأبنائه الروحيين ، وتجديد هذه المعانى والعقائد والأهداف التى فيها بقاء لهذه الملة والإنسانية كلها ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[المائدة: ٩٧]

مركز دائم للهداية والإرشاد والإصلاح والجهاد :

وجاء عهد الإسلام ودور الرسالة المحمدية الخالدة ، فأصبح هذا البيت مركزًا للهداية والإرشاد والإشعاع الروحى ، والغذاء العاطفى ، تقام حوله المناسك ، وتغذّى به العاطفة ، وتشعل به مجامر القلوب ، وتشحن به «بطاريتها » الفارغة ، ويتلقى منه الرسالة الدينية ، ويجتمع حوله العالم الإسلامى كل عام ،يؤدى خراجه من الطاعة، وضريبته من الحب والانقياد ، ويثبت تمسكه بهذا الحبل المتين ، ولجوئه إلى هذا الركن الركين ، ويطوف حوله أعظم العلماء والعقلاء ، والزعماء والعظماء ، والملوك

www.abulhasanalinadwi.org

والأمراء ، والأغنياء والفقراء ، فى وله وهيام ، وفقه وحكمة ، يثبتون أنهم مجتمعون على تفرق ، متوحدون على تعدد، متركزون على انتشار ، أغنياء على الفقر ، أقوياء على الضعف ، ينتشرون فى العالم ويسعون فى أرزاقهم ومصالحم ، وينتسبون إلى أمم وسلالات ، ويختلفون فى الحضارات والثقافات ، ويلتقون على نقطة واحدة وحول نقطة واحدة، وحياتهم كلّها طواف وسعى، ونسك وعبادة، وإيمان وعقيدة ، ومقاماتهم كلّها منى وعرفات ، وأسفار ووقفات ، وإنما هم فى رحلة دائمة ، وتقدم مستمرّ ، وتعارف متكرّر ، حتى يقضوا نحبهم ويلقوا ربّهم.

إلى مدينة الرسول ﷺ ، ومسجده العظيم :

وكان من الطبيعى بعد ذلك كله ، أن يحنّ المسلم ، لاسيما الوافد من مكان بعيد ، إذا قضى حجّه ، وأدّى مناسكه إلى مهجر خاتم المرسلين ومثواه الأخير ، ومأرز الإسلام ، إلى المسجد الذى انبثق منه النور ، وانطلقت منه موجة الهداية والعلم ، وقوة الإسلام فى العالم ، إلى

www.abulhasanalinadwi.org

المدينة ، التى آوى إليها الإسلام ، وتمثّلت فيها فصول التاريخ الإسلامى الأول ، وابتلّ ترابها بدموع الصحابة رضى الله تعالى عنهم ودمائهم ، فيصلى فى المسجد الذى تُعادل ركعة فيه ألف ركعة فى غيره (١) ، ويقف فى مواقف، وقف فيها الشهداء والصدّيقون، والسابقون الأولون ، فيستمد منها الصدق والإيمان، والحب والحنان، والبطولة والشهادة فى سبيل الإسلام، ويصلى ويسلّم على هذا النبى الذى خرج بدعوته وجهاده من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، وذاق لأول مرةٍ حلاوة الإيمان، وعرف قيمة الإنسان .

عرضة سنوية تحفظ على الأمة نقاءها وأصالتها ، وتعصم الدين عن التحريف والفساد الشامل :

والحج عرضة سنوية للملّة ، يرجع إليها الفضل فى نقائها وأصالتها ، وفى بقاء هذا الدين ، بعيدًا عن التحريف والغموض والالتباس ، وفى بقاء هذه الأمة ، بعيدة عن

(١) عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام » (متفق عليه).

www.abulhasanalinadwi.org

الانقطاع عن الأصل ، والمصدر والأساس ، محفوظة من المؤامرات والمغالطات التى وقعت أمم كثيرة فريستها فى الزمن الماضى، وعن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة، تبقى هذه الأمة العظيمة الخالدة محتفظة بطبيعتها الإبراهيمية الولوع الحنون ، العطوف الرؤوف ، الثائرة القويَّة الحنفيَّة السمحة، وتتوارثها جيلاً بعد جيل ، فكأنها القلب الحى القوى الفياض الذى يوزّع الدم إلى عروق الجسم وشرايينه، وبها تستعرض هذه الأمة مجموعها فى صعيد واحد، فينفى بذلك علماؤها وزعماؤها تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين، وخرافة المخرفين ، ويردونها إلى الأصل الإبراهيمى الحنيفى، وإلى الشرعة المحمدية (الصّافية) وإلى الدين الخالص، وبها تستطيع هذه الأمة أن تحافظ على وحدتها الدينّية والعقلية والثقافية، وتعتصم عن أن تؤثِّر فيها الإقليمية والمحلية تأثيرًا يُفقدها الوحدة الحنيفية الإبراهيمية ، والصبغة الإسلامية المحمدية، كما كان شأن الديانات السابقة الكثيرة، والأمم الدينية العديدة.

لقد قدّر الله لهذه الأمة الخالدة أن تعيش فى بيئات مختلفة ، وفى أقاليم عديدة ، وتجتاز أدوارًا كثيرة جدًا ،

www.abulhasanalinadwi.org

مختلفة جداً ، من حرارة وقوة وجمود وخمود ، وعنف وقسوة ، ومصارعة ومقاومة ، وإغراءات مادية وسياسية ، وتقدم في الحضارة والمدنية ، وتوسُّع فى المال والمادة ، وضيق وضنك ، وبذخ وترف ، وعسر ويسر ، وشدة ورخاء ، وتسلُّط عدو قاهر وملك جائر ، وكانت الأمة فى حاجة دائمة إلى إشعال جذوة الإيمان ، وإثارة عاطفة الحب والحنان، وإعادة الوفاء والولاء فى سائر الأجزاء والأعضاء، فجعل الحج ربيعًا تورق فيه أغصان هذه الشجرة الخالدة كل عام ، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وتكتسى فيه هذه الشجرة العالميّة لباسًا جديداً قشيبًا ، غضًا طريًا .

وقد سبق شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى، بما أكرمه الله من فقه دقيق ، وفهم عميق لأسرار التشريع ومقاصد الإسلام ، فأشار إلى هذه النكتة فى كتابه « حجه الله البالغة » فقال :

« وكما أن الدولة تحتاج إلى عرضة بعد كل مدة ليتميّز الناصح من الغاش، والمنقاد من المتمرِّد ، ليرتفع الصِّيت ، وتعلو الكلمة، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، فكذلك الملّة تحتاج إلى حج ، ليتميّز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول

www.abulhasanalinadwi.org

الناس فى دين الله أفواجًا ، وليرى بعضهم بعضًا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والترائى » (١) .

وقال :

« وإذا جعل الحج رسمًا مشهودًا نفع عن غوائل الرسوم ، ولا شىء مثله فى تذكُّر الحالة التى كان فيها أئمة الملّة والتحضيض على الأخذ بها » (٢) .

وقال :

« ومنها تحقيق معنى العرضة ، فإن لكل دولة أو ملة اجتماعًا يتوارده الأقاصى والأدانى ، ليعرف فيه بعضهم بعضًا ، ويستفيدوا أحكام الملّة ، ويعظموا شعائرها .

والحج عرضة المسلمين وظهور شوكتهم واجتماع جنودهم وتنويه ملّتهم ، وهو قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾» (٣) .

مركز الإشعاع العالمى الخالد :

وقضى الله أن لا يخلو « الحج » فى أشد أيام هذه

(١ ، ٢) حجة الله البالغة : ج١ ص٥٩ ، ٦٠

(٣) نفس المصدر : ج٢ ص٤٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمة وأحلكها ، من الربانيين المخلصين ، ومن الصالحين المقبولين ، ومن الدعاة المرشدين ، ومن الداعين المبتهلين ، ومن الخاشعين المنيبين ، ومن العلماء الراسخين الذين يملؤون الجوّ روحانية وخشوعًا ، فترق القلوب القاسية ، وتخشع النفوس العاصية ، وتفيض العيون الجامدة ، وتلتهب المجامر الخامدة ، وتنزل رحمة الله وتغشى السكينة، ويخزى الشيطان ، لذلك جاء فى الحديث ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلاّ بما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام » (١) ويتكهرب الجو فيشحن المسلمون الذين جاءوا من كل صوب بعيد وفج عميق ، (بطارية) قلوبهم الفارغة ، ويأخذون زادًا من إيمان وحب وحماسة، وعلم وفقه ، يعيشون عليه فى حياتهم الباقية ، ويقاومون به كل ما يواجهونه من إغراء وتسويل ، وتخويف وتزيين ، ويشركون فى هذا الزاد إخوانهم المسلمين الذين قعد بهم

(١) رواه مالك مرسلاً .

www.abulhasanalinadwi.org

الفقر أو الضعف ، أو المرض أو العدو ، وهكذا يجرى هذا التيار الكهربائى الإيمانى فى جسم هذه الأمة المنتشرة فى الآفاق ، فيتعلم الجاهل ، ويقوى الضعيف ويتحمس الخامد ، وتكتسب الأمة بذلك قوة جديدة على تأدية رسالتها ، وتستأنف كفاحها من جديد .

مظهر الجامعة الإنسانية الإسلامية :

والحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التى قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة ، وهو إظهار لشعار هذه القومية ، فتتجرّد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الإقليمية التى تميّز بعضها عن بعض ويتعصّب لها أقوام ؛ وتظهر كلها فى مظهر واحد يسمى (الإحرام) فى لغة الدين والفقه وفى مصطلح الحج والعمرة ، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس ، وصغير وكبير ، وغنى وفقير ، وتهتف كلها فى لغة واحدة ، ونغمة واحدة ، « لبّيك اللهمّ لبّيك ، لبّيك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ،

www.abulhasanalinadwi.org

وهكذا تتجلَّى القومية الإسلامية فى اللباس والهتاف ، وهما من أوضح ما تجلّت فيه قومية ، وفى وحدة المناسك والغايات التى يقوم بها جميع الأفراد والشعوب ، ويسعى إليها العرب والعجم ، ويلتقى عليها القاصى والدانى ، فكلهم يطوفون حول بيت واحد ، ويسعون بين غايتين مشتركتين(الصفا والمروة) ، وكلّهم يقصدون (منى) ، وكلّهم يؤمون (عرفات) ويَقفُون فى موقف واحد ، وكلّهم يبيتون فى مبيت واحد ، ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٨] ويفيضون إفاضة واحدة ، ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة : ١٩٩] وكلهم يقفون أيامًا فى (منى) تجمع بينهم أشغال واحدة من نحر وحلق ورمى .

وما دام الحج ــ والحج فريضة باقية إلى يوم القيامة ، ومؤسسة خالدة خلود هذه الأمة ــ فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات ، كما ابتلعت أممًا كثيرة ، ولا يصبحون ضحيتها، ولا تكون بلادهم التى يحبُّونها بسائق الفطرة والعاطفة

www.abulhasanalinadwi.org

والعصبية ، قبلة يتوجهون إليها ، وكعبة يحجون إليها ، إنما هى قبلة واحدة يتوجه إليها الشرقي والغربى ، والعجمى والعربى ، وإنما هى كعبة واحدة يحجّ إليها الهندى والأفغانى، والمسلم الأوروبى والأمريكى ، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة : ١٢٥] ويحنّ إليها المسلم فى أقصى الأرض ، وينذر لهذه الرحلة النذور ويسعى إليها على الرأس والعين، ويعتبر ذلك غاية الأوطار وأقصى الأمانى وأعظم السعادات .

ليشهدوا منافع لهم :

وشرع الحج لجميع هذه الفوائد والمنافع التى نعلم منها الكثير ، ونجهل منها الكثير ، وربما كان ما نجهله ونتمتع به أكثر مما نعرفه ، ومما نوه به حكماء الإسلام ، وأشادوا به فى مؤلفاتهم ، فقد قال الله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج : ٢٨] فأطلق المنافع ، ونكّرها وأبهمها ، ودلّ هذا التعبير البليغ على كثرتها وتنوعها وتجدّدها ، فى كل زمان

www.abulhasanalinadwi.org

وإنها أكثر من أن يأتى عليها الإحصاء والاستقصاء [١] .

يجب أن يُمثّل البلد الأمين الحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامى المثالى ، فى كل زمان :

ولما كان الحج عرضة سنوية للملّة ، يلتقى فيها

---

(١) إن الحج لا شك موسم ، يشهده المسلمون من آفاق الأرض ونواحى العالم الإسلامى ، ليشهدوا منافع لهم ، فيستطيعون أن يتبادلوا الرأى السديد والفكر الحصيف ، ويتعرف بعضهم ببعض ، ويجتمعوا على كلمة واحدة ومصلحة راجحة راشدة .

ولكن ليست هذه حكمة الحج الوحيدة كما اعتاد الكتاب العصريون أن ينوهوا بها ، وليس الحج مؤتمرًا سياسيًا فحسب ، كما يصوره كثير من حملة الأقلام ورجال السياسة والاجتماع فى هذا العصر ، فلو كانت هذه هى الحكمة التى شرع لها الحج ، لكان فى الحج استقرار وساده جو من الهدوء يساعد على ذلك ، ولكنه اضطراب وانتقال من مكان إلى مكان ومن نسك إلى نسك ، ولكانت دعوة مقصورة على العلماء والزعماء ، والأذكياء والنبهاء ، وعلى الخاصة من المسلمين ، إنها لا شك ثمرة من ثمرات الحج ، ولكن ليست هى الغاية التى شرعت لها هذه الفريضة العظيمة ، وقد فرضت على المسلمين ، فقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا » ، ولكان له وضع غير هذا الوضع ، ومكان غير هذا المكان القاحل النائى .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون على صعيد واحد من العقيدة والعاطفة والغاية ، فى جوٍ دينيٍ ربّانيٍ ، وفى محيط روحى إيمانى ، يستمدون منه قوة جديدة وروحًا جديدة ، ويُصحّحون ما وقع فى عقيدتهم من انحراف ، وفى عاداتهم وشعاراتهم من فساد، وما اعتراهم من زيغ أو وهن بتأثير الحضارات والفلسفات العجميّة الأجنبيّة ، وتقليد الشعوب والأمم التى تجاورهم ، أو يعيشون فيها ، ويستطيعون أن يردّوا كل شىء إلى أصله، وأن يستقوا الدين من منابعه الصافية الأصيلة ، وجب بحكم العقل والمنطق ، وبحكم روح الإسلام وحكمة الحج ، أن يظلّ البلد الأمين الذى يقع فيه الحج ، ويدور حوله ، أمينًا للحياة الإسلامية ، الصافية الأصيلة (يصور الحياة الإسلامية) بجميع جوانبها ومزاياها ومظاهرها، حتى يلمسها ويتذوّقها كل وارد إليه مهما قصرت إقامته وقلّت معرفته ، لأن الله قد قضى أن يكون هذا البلد مركز الحج إلى آخر الزمان ، ومثابة للمسلمين من جميع أنحاء العالم فى كل سنة ، يَفدون إليه ، وهم مؤمنون بحق بأنهم يقصدون بلدًا هو معدن الطهر ، ومولد الدين وعاصمة الإسلام الروحية، وكل ما يشاهد ويسمع

www.abulhasanalinadwi.org

فى جوانبه هو حجة للمسلم الغريب الذى يعيش بعيدًا عن مهد الإسلام ، وليس بعد عمل أهل مكة والمدينة حجة عند عامة المسلمين « وما وراء عبّادان قرية » .

وهذه الطبيعة البشرية التى لا نستطيع أن نتغلّب عليها بمنطق أو دليل ، أو خطابة أو بلاغة ، وهو الاحتجاج بعمل أهل المركز زعيم لدين أو حضارة ، وهو العرف الذى جرى فى مجال اللغة والآداب ، والحضارة والفقه ، فكانت لغة قريش ، ثم لغة البادية العربية ، هى الحجة فى اللغة العربية ، ومناهج كلامها ولهجاتها ، وكل عمل أهل المدينة حجة فى مذهب كبير من المذاهب الفقهية الإسلامية[1] ، وظلّ عمل أهل قرطبة حجة عند كثير من فقهاء المغرب عندما كانت فى أوجها العلمى الثقافى ، وكانت مجمع العلماء والقضاة ، واحتجّ الناس قديمًا وحديثًا بعادات عاصمة البلاد ومركزها الحضارى ، وتنافس الناس فى تقليدها ، ورأوا فيها المثل الكامل ، والقدوة فى الحضارة والأناقة والظرف ، ودعاة الإسلام وزعماءُ الإصلاح يلقون صعوبة ومحنة ، إذا احتجّ الحجّاج بما قد

(١) كالمذهب المالكى .

www.abulhasanalinadwi.org

يشاهدونه ويسمعونه فى مركز الإسلام ومهبط الوحى مما لا يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية ، أو آدابها ويصعب إزالتهم عن ذلك (١) .

يجب أن يبقى « البلد الأمين » محتفظًا بطراز خاص ، والحج بروح الجهاد والتقشف :

وجانب أدق من هذا، وهو أن يبقى هذا البلد الأمين ــ على مرّ العصور والأجيال ، ورغم تطورات المدنية ومرافق الحياة فى العالم ــ محافظًا على شىء من البساطة والطبيعة، وعلى شىء من التقشف ، ويتذكّر فيه الوافدون من أنحاء العالم ، الجوّ الذى كان المسلمون الأولون يقضون فيه مناسكهم ، ويشعرون بشعورهم ، أو قريب من شعورهم ، ويشعرون بانتقال من عالم إلى عالم ، ومن جوّ إلى جوّ ، ومن حياة إلى حياة ، فإنّ هذا الشعور يُحدث فى النفوس تخليًا عن الماضى ، واستعدادًا لتلقّى شىءٍ جديدٍ ، وفرحة روحية لا يشعرون بها فى مكانهم ،

(١) مقتبس من حديث ألقاه المؤلف فى المؤتمر الإسلامى الذى عقدته رابطة العالم الإسلامى فى مكة ، سنة ١٣٨٤ هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

أما إذا بقى البيت وحده ، والحرم وحده على قِدَمهما ، وتغيّر كل شيء حولهما ، وأصبح البلد الأمين وما جاوره من البقاع قطعة من أوروبا أو أمريكا ، وحلّت المدنيّة الغربيّة بخيراتها وشرورها ، وبأصولها وفضولها ، وأصبح الحاج الذى وصفه لسان الشرع « بالشعث التفل » يتقلّب فى أعطاف المدنية والنعومة ، وينتقل من راحة إلى راحة ، ومن تنعّم إلى تنعّم ، ومن حديث إلى أحدث ، فإنه لا يشعر بشيء جديد قوى يُحدث فى مشاعره انقلابًا ، ويشحنه شحنًا روحيًا .

ولذلك اعتبر الحج صنو الجهاد ، وقد روى البخارى عن عائشة مرفوعًا : « أفضل الجهاد وأجمله حج مبرور » وعنها ، قالت : قلت يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور»، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول : « شدّوا الرحال فى الحج، فإنّه أحد الجهادين» . وإذا تطورت مكة تطورًا جذريًا ، واقتبست من الحضارة الغربية جميع مرافقها ووسائلها ، وتوفّرت للحج جميع أسباب الراحة والتنعم

www.abulhasanalinadwi.org

التى لا توجد إلاّ فى العواصم الغربية الكبرى ، شعر الحجاج بشيء من الفراغ الروحى ، وبشيء من الجفاف ، وبانحطاط ملموس فى فوائد الحج ، وآثاره فى النفس والحياة .

التشريعات الحكيمة لزيادة فائدة الحج ، وتقوية أثره فى النفس والحياة :

وقد هيَّأ الوحى الإلهى والتشريع السماوى للحج جوًا، يثير الجدّ والقصد ، وينبِّه النفس والفكر ، ويحوطه بسياج من العبادة والروحانيّة والقدسيّة ، فإنّه كان في أكثر الأحيان رحلة طويلة ، وانتقالاً من بلد إلى بلد يمرّ فيه الحاج ببقاع مختلفة ، وأجواء متنوعة ، ومَلاذ ومَلاه ، وشواغل وصوارف قد تقصر فيها المدة وقد تطولُ ، ويدخل فى بلد جديد ، ويختلط بأقوام وطبقات كثيرة ، ويخرج النساء مع الرّجال ، وفيهم الشيوخ والشباب، وقد تجتمع أفراد الأسرة أحيانًا ، ويكون الرجل مع زوجه وأهل بيته ، وكل ذلك خليق بأن يُفقد الحج روعته ومهابته وقدسه ، وروح العبادة والجهاد فيه ، وتصبح هذه الرحلة

www.abulhasanalinadwi.org

كأى رحلة عادية طبيعيّة ، أو الإقامة فى مكة ، والتنقّل فى مواضع المناسك كأىّ إقامة فى أىّ بلد .

لذلك أضفى التشريع على الحج لونًا لا يزول ، لونًا من الجدّية والقدس ، وحاطه بأسوار وخنادق عديدة ، جعلته بعيدًا عن الغفلة والذهول، والعبث والفضول ، وله فى ذلك تشريعات دقيقة حكيمة ، كانت كفيلة بأن يبقى الحجّ عبادة عميقة الأثر، فى النفس والحياة ، وركنًا من أركان الإصلاح والتربيّة، ووسيلة قوية للتقرّب إلى الله .

منها ، أنه جعل ركنًا من أركان الإسلام الأربعة ، وفريضة على من استوفى شروطها ، لا يقبل الله عنها صرفًا ولا عدلاً ، فقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران :٩٧] ، وقد روى الترمذى عن على ﷺ رفعه : «من ملك راحلةً وزادًا يبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا » وذلك أنّ الله تعالى يقول : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا**﴾ ، وقال النبى ﷺ : « بُنى الإسلام على خمس ،

www.abulhasanalinadwi.org

شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » (١) .

وقد نوّه لسان النبوّة بفضل الحج ومكانته عند الله ، وأكثر من بيان فضائله ، لأنّها هي التى تُثير فى النفس الشوق والرغبة ، وتبعث الإيمان والاحتساب ، فلا قيمة لعمل أو عبادة حتى تقترن بهما ويكونان هما الباعثين على إتيانها ، فقد روى الستّة عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة » وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه» (٢) وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنّهما ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس لحجة مبرورة ثواب إلاّ الجنة ، وما من مؤمن يظل يومه محرمًا إلاّ غابت الشمس بذنوبه » (٣) ، وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله

(١) متفق عليه .
(٢) للستة ، إلا أبا داود .
(٣) للنسائى ، والترمذى بلفظه .

www.abulhasanalinadwi.org

ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النّار من يوم عرفة » (١) وسُئل النبى ﷺ « أىُّ العمل أفضل ؟ قال: إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا ؟ قال حج مبرور»(٢) .

ومن هذه التشريعات الدقيقة الحكيمة « المواقيت » التى تُنّبه فى الحاج شعوراً جديداً، ويقظة فكرية روحية، فيعرف أنَّه دَنا من الحضرة الملوكية ، ودخل فى حدودها المحمية المقدسة ، فلولا المواقيت لاقتحم الحجّاج الحضرة المقدسة، وهجموا عليها كما يهجم الجهال الأجلاف على حضرة الملوك وعتبة السلاطين ، فيقابلون باستنكار وجفاء، وطردٍ وإهانةٍ ، وقد أحسن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى بيان حكمة المواقيت ، وسرّ تشريعها وتعيينها للقاصدين من جهات مختلفة ، قال :

« الأصل فى المواقيت ، أنه لما كان الإتيان إلى مكة شعثًا تفلاً ،تاركًا لغلواء نفسه مطلوبًا ، وكان فى تكليف الإنسان ، أن يحرم من بلده حرج ظاهر ، فإن منهم من

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

يكون قطره على مسيرة شهر وشهرين وأكثر ، وجب أن يُخَصّ أمكنة معلومة حول مكة يحرمون منها ولا يؤخرون الإحرام بعدها ، ولا بد أن تكون تلك المواضع ظاهرة مشهورة ؛ ولا تخفى على أحد ، وعليها مرور أهل الآفاق، فاستقرأ ذلك ، وحكم بهذه المواضع ، واختار لأهل المدينة أبعد المواقيت ، لأنها مهبط الوحى ومأرز الإيمان ودار الهجرة ، وأول قرية آمنت بالله ورسوله ، فأهلها أحق بأن يبالغوا فى إعلاء كلمة الله ، وأن يخصوا بزيادة طاعة الله ، وأيضًا فهى أقرب الأقطار التى آمنت فى زمان رسول الله ﷺ ، وأخلصت إيمانها بخلاف جؤاثى والطائف واليمامة وغيرها ، فلا حرج عليها » [1] .

ومنها « الإحرام » الذى ينبه فى الحاج الشعور والانتباه، ويكون حارسًا له عن الغفلة والذهول ، وينبهه إلى أنه مقبل على أمر عظيم ، وأنه قاصد للحضرة الملوكية، وإلى أنه تجرد مما كان فيه من مظاهر جوفاء وشعارات زائفة ، وأبّهة مصطنعة ، فيصير هذا الإحرام كالتحريمة للصلاة تنقله من جو إلى جو ، ومن حرية

(١) حجة الله البالغة ـ ج٢ ـ ص٤٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

وانطلاق إلى تقيد وارتباط ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى رحمة الله عليه :

« اعلم أن الإحرام فى الحج والعمرة بمنزلة التكبير فى الصلاة ، فيه تصوير الإخلاص والتعظيم وضبط عزيمة الحج بفعل ظاهر ، وفيه جعل النفس متذللة خاشعة لله بترك الملاذ والعادات المألوفة وأنواع التجمل ، وفيه تحقيق معاناة التعب والتشعث والتغبر لله » (١) .

وكذلك شرع للخروج من الإحرام والتحرر من قيوده وأحكامه طريقة ظاهرة تُنبّه فى النفس الشعور ، ولا يصعب إتيانها ، فلا يخرج الحاج من إحرامه فلتة أو مفاجأة، ويتمتع بالمباحات، إلا بعمل ظاهر،وقصد وإرادة، كما لا يخرج من صلاته إلا بالتسليم، وهو الحلق، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« السر فى الحلق أنه تعيين طريق للخروج من الإحرام بفعل لا ينافى الوقار ، فلو تركهم وأنفسهم ، لذهب كل مذهبًا ، وأيضًا ففيه تحقيق انقضاء التشعث والتغبر بالوجه

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ ــ ص٤٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

الأتم ، ومثله كمثل السلام من الصلاة » (١) .

ومنها « التلبية » التى حث الشرع على الإكثار منها ، واستحسن النبى ﷺ رفع الصوت بها وتكثيرها ، وقد سئل أى الحج أفضل ؟ قال : « العجُّ والثجُّ» (٢) ، وفى التلبية تأثير غريب فى تنبيه النفس وإيقاظها لمقاصد الحج ، وشحنها بالإيمان والحنان ، والاطراح على عتبة الرحمن ، وبها يسرى التيار الإيمانى الروحى فى جسم الحاج ومشاعره وأعصابه ، كما يسرى التيار الكهربائى فى الأسلاك ، ويُعدّ الحاج للاستفادة من هذا الركن العظيم ، الذى قد يكون قد هجم عليه من غير استعداد ، أو من غير تفقه ووعى ، فإذا قال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعة لك والملك ، لا شريك لك » ، تمثل له الحج ومقاصده العظيمة وروحه ، وثارت فيه الأشواق ، وفاضت كأس الحب والحنان ، والتهبت شعلة التوحيد فى عروقه ودمه ، واتصل بإبراهيم الخليل ، الموحد الحنيف ، واتصل بمحمد ﷺ ، والداعين بدعوته اتصالاً فكريًا

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ ــ ص٤٥ .

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

روحيًا، واندمج فى حزبهم .

وقد جمع الله للحج حرمتين ، حرمة الزمان والمكان، ليقوى الشعور بحرمة هذا الركن العظيم ، وجلاله وروعته، والشعور بالمسؤولية ، وليكون الحاج فى جميع تنقلاته وحركاته وسكناته مرهف الحس حاضر الفكر ، لا يذهل لحظة عن الجو الروحانى الذى يحيط به .

فقال تعالى : ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ**﴾ [التوبة : ٣٦] وقال : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة : ٢١٧] وقد روى مسلم عن النبى ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » . وأما حرمة المكان ،

www.abulhasanalinadwi.org

فقد جاء فى القرآن : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل : ٩١] ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح (فتح مكة) : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم الفتح ـ فتح مكة ـ : « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحلَّ فيه القتال لأحد قبلى ، ولم يحلَّ لى إلاَّ ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته ، إلا من عرّفها، ولا يختلى خلاها » وقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر ،فإنه لقينهم ولبيوتهم ، فقال : « إلا الإذخر» .

وقد كانت المعصية فى الحرم أغلظ وأشد ، وقد استدل بعض العلماء على أن إرادة المعصية فيه معصية ، بخلاف غيره من البقاع ، بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥] . قال ابن

www.abulhasanalinadwi.org

كثير : وهذا من خصوصية الحرم ، أنه يعاقب البادى فيه الشر إذا كان عازمًا عليه ، وإن لم يوقعه .

وقد ضم إلى ذلك كله حرمة الإحرام، وشرع له أحكامًا وآدابًا خاصة، منها: حرمة الصيد فى حالة الإحرام، فقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ** ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٦](١).

يقول شيخ الإسلام الدهلوى رحمة الله عليه :

« وإنما شرع أن يجتنب المحرم هذه الأشياء تحقيقًا للتذلل وترك الزينة والتشعث ، وتنويهًا لاستشعار خوف الله وتعظيمه ، ومؤاخذة نفسه ، ألا تسترسل فى هواها، وإنما الصيد تلهٍ وتوسع » (٢) .

ولما كان الحج سفرًا طويلاً فى غالب الأحيان ، وقد

(١) اقرأ تفسير الآيتين والأحكام الفقهية المتفرعة منهما ، وما فى ذلك من خلاف وتفصيل فى كتب التفسير وأحكام القرآن .
(٢) حجة الله البالغة ـ ج٢ ـ ص ٤٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] ، وانتقال من حال إلى حال ، ويكثر فيه الاختلاط ، وتطول الزمالة، وتتنوع المعاملات ، كان ذلك مثارًا لكثير من المحظورات والمغريات والمناقشات ، وكثيرًا ما تثور النفس ويضيق الصدر ، وينفد الصبر ، فيلجأ الحاج إلى ما يتحاشى عنه فى الوطن والإقامة ، والأحوال العادية ، ويتورط فى بعض المعاصى والأخلاق القبيحة ، وما ينافى روح الحج ومقاصده ، فجاء النهى عن ذلك بصفة خاصة فى الحج ، لأن الحج مظنة قوية له ، فقال تعالى : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ (١) فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (٢) وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

---

(١) هى: شوال ، وذو القعدة وعشر من ذى الحجة ، علقه البخارى بصيغة الجزم، ورواه ابن جرير موصولاً ، وهو مروى عن أكثر الصحابة وفضلاء التابعين ، وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، (راجع تفسير ابن كثير) .

(٢) اقرأ تفسير الكلمات وأمثلتها فى كتب التفسير والأحكام .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد أسبغت هذه التشريعات ، وهذه الأحكام التى تتصل بالقلب والجوارح ، والقصد والعمل ، والزمان والمكان ، على الحج لباسًا من القدس ، والطهر ، والتورع والتقشف ، والمراقبة لله تعالى ، والحسبة للنفس والجهاد ، لا يشاركه فيه ما يماثله ، أو يدخل فى موضوعه فى الديانات الأخرى وطوائف الأمم ، وكانت لها آثار عميقة فى النفس والأخلاق والحياة ، يتحقق معها قول النبى ﷺ: « من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » (١) .

حجة الوداع وقيمتها التربويّة والبلاغية :

حج رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة ، وكانت حجة الإسلام ، وشهد معه هذا الحجّ أكثر من مائة ألف إنسان ، وهى حجة الوداع (٢) .

وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجّة كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل ، ولم تكن فلتة من

(١) رواه الستة عن أبى هريرة ، إلا أبا داود .

(٢) وتسمى « حجة الإسلام » و«حجة البلاغ» و«حجة التمام» .

www.abulhasanalinadwi.org

الفلتات، بل جاءت فى وقتها المناسب ، « وكل شىء عنده بمقدار» وكان فى تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة ، ومصلحة راجحة ، فقد انتشر الإسلام فى جزيرة العرب ، وكثر المسلمون ، وقوى الإيمان ، وشب الحبّ ، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة ، وهفت القلوب ، ورنت العيون إلى المشاهدة والمراقبة ، ودنت ساعة الفراق ، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة ، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة ليحجّ البيت ، ويلقى المسلمين ، ويعلمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدى الشهادة ، ويبلغ الأمانة ، ويوصى الوصايا الأخيرة ، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ، ويضعها تحت قدميه.

فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة ، وألف درس ، وكانت مدرسة متنقلة ، ومسجداً سيّاراً ، وثكنة جوّالة ، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل ، وينشط فيها الكسلان ، ويقوى فيها الضعيف ، وكانت سحابة واحدة

www.abulhasanalinadwi.org

تغشاهم فى الحل والترحال هى سحابة صحبة النبى ﷺ وحبه وعطفه ، وتربيته وإشرافه .

وقد كان من آثار نضج المسلمين العقلى ، وقوة حبهم، وشدة تعلقهم بكل ما يصدر عن هذه الشخصية الحبيبة المفداة ، أن سجلوا كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة، وكل حادث من حوادثها الصغيرة ، لا يحتفل بأمثالها فى رحلات العظماء والرؤساء ، والملوك والأمراء ، والعلماء والنبغاء ، وذلك شأن المحب الوامق ، والعاشق الصادق ، الذى يرى كل شىء لمحبوبه حسنًا ، فليتلذذ بذكره ، ويسترسل فى حديثه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا يحصيها ولا دقيقة نادرة إلا يستقصيها .

يتطيب رسول الله عند إحرامه فيذكرون من باشر هذا التطيب ، ويذكرون نوع هذا الطيب ، فيقولون : « ثم طيبته عائشة بيدها بذريرة [1] وطيب فيه مسك ، حتى يرى وبيض المسك فى مفارقه ولحيته ﷺ ويشعر رسول الله ﷺ هديه ، فيذكرون تفصيله وتحديده ، هل كان فى الجانب

(١) وقد أفاض الشراح فى وصف الذريرة وأنواعها ، راجع هذا الكتاب .

www.abulhasanalinadwi.org

الأيمن أو الأيسر ، وكيف سالت عنها الدم ، ويذكرون احتجامه ، والاحتجام فعل طبى طبعى لا صلة له بمناسك الحج ، فيحددون مكانه من الجسم ، وموضعه من الطريق، فيقولون : « واحتجم بملل » (وملل موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة) ويقولون : « واحتجم على رأسه بلحى جمل» (وهو موضع فى طريق مكة) وتهدى له قطعة لحم ، وهى حادثة عادية تتكرر ولا تسترعى الاهتمام فى عامة الأحوال ، فيذكرونها بالتحديد والتفصيل ، فيقول الراوى : « حتى إذا كانوا بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشى » ويحددون المنازل بين .... المدينة ومكة ، ويعدون أيامه فى السفر ، وذلك فى زمان لم يعرف الناس فيه كتابة اليوميات ، وتدوين المذكرات ، ولكن الحبّ يلهم ويخترع، فيقول الراوى:« ثم نهض إلى أن نزل بذى طوى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة ، وصلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة » ولم تفتهم شاردة ولا نادرة فى هذه الرحلة التى كثرت فيها الشواغل ، وتعددت فيها المنازل ، واشتد فيها الزحام ، فلم يفتهم أن

www.abulhasanalinadwi.org

يقيدوا خروج حية فى هذا المشهد الحافل ، وإفلاتها من القتل ، فيقول الراوى وهو يذكر ليلة منى : « وخرجت حية وأرادوا قتلها ، فدخلت فى جحرها » ويذكرون كل من كان رديف [١] رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة ، ويذكرون اسم الحلاق وكيف قسم شعره ومن خصهم بالشق الأيمن ، ومن خصهم بالشق الأيسر ، وهذه كلها تفاصيل ودقائق لم يكن مصدرها إلا الحب العميق .

ومن العبث وإضاعة الوقت أن يبحث عن نظائرها فى رحلات القادة ، وتاريخ المشاهير ، وقد أخلت أمم كثيرة بحياة أنبيائها وسيرهم وأخبارهم ، ومراحل حياتهم ، وضيعوا منها الشيء الكثير ، الذى لا تكمل حياتهم ولا يتم تاريخهم إلا به ، ولم يحافظوا إلا على النزر اليسير من أخبارهم وأحوالهم ، فجل ما نعرف من حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، هو أخبار السنوات

(١) وقد استوعب صاحب « نسيم الرياض» أسماء كل من أردفهم رسول الله ﷺ فى حياته ، فذكر نحو ثمانية وثلاثين رديفًا ، وزاد ابن منده على هذا العدد ، راجع هذا الكتاب .

www.abulhasanalinadwi.org

الثلاث الأخيرة من سيرته وأخباره [١] ، وهنالك أصحاب رسالات وديانات فى بلاد متمدنة عريقة فى العالم لم تبق إلا أسماؤهم ونتف من أخبارهم لا تشفى العليل ، ولا تروى الغليل ، ولا تقود الأجيال ولا تنير السبيل » [٢] .

«الحج والزيارة» فى الديانات القديمة، سماتهما وفوارقهما:

لم تُعرف أمة ولا ديانة من أمم البشر ودياناتهم ، إلا وعندها أمكنة مقدسة تشدُّ إليها الرحال ، وتحثُّ فيها المطىَّ، ولها طرق وعادات وتقاليد ، وآداب لهذا السفر الدينى ، « والزيارة المقدسة » وذلك لأن هذا العمل إجابة لحاكم الطبيعة ، وتلبية لنداء الضمير ، فالإنسان كما قلنا لم يزل باحثا عن شىء يراه بعينه، ويوجه إليه أشواقه ، ويقضى به حنينه ، ويشبع به رغبته الملحة فى التعظيم والدنو ، ولم يزل باحثًا كذلك عن عمل طويل شاقٍ يكفر

---

(١) وقد توصل الباحثون والمؤرخون أخيرًا إلى أن هذه المدة كانت أقل مما ذكر بكثير ، فهى لا تزيد على شهرين أو ثلاثة أشهر، اقرأ المقالة الواردة فى دائرة المعارف البريطانية .

(٢) مقتبس من تقديم لكتاب « حجة الوداع وعمرات النبى ﷺ ، للعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى » بقلم أبى الحسن على الندوى .

www.abulhasanalinadwi.org

به عن ذنوبه الجسام ، وسقطاته الفاضحة ، ليتغلب به على وخز الضمير وتأنيب الحس الدينى ولائمة المجتمع ، ولم يزل فى حاجة إلى مشهد دينى عظيم ، يلتقى فيه على الأخوة الدينية والعاطفة الروحية ، لذلك لم تخل أمة من الأمم ، ولا دور من أدوار المدنية من أسفار دينية ، ومناسك مشهورة ومشاهد مقدسة يجتمع فيها الناس ، ويذبحون الذبائح ، ويقرِّبون القرابين لله تعالى أو لآلهتهم ومعبوداتهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** ﴾ [الحج: ٣٤] وقال : ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الحج : ٦٧] ، وقد اكتشفت الآثار وعملية الحفر عن هذه المناسك والمشاهد فى المدنيات البائدة ، والمدن المطمورة ، وتحدَّث التاريخ عن وجودها ، وعن بعض أخبارها ، ولكن الاهتداء إلى حقيقتها وتاريخها ، والأحكام والآداب التى تتعلق بها صعب جدًا ، فقد لا يرجع الباحث فى ذلك ، إلا

www.abulhasanalinadwi.org

بقياسات وأخبار متقطعة مبتورة ، لا يستطيع أن يُكوّن بها فكرة كاملة ، أو صورة واضحة .

والديانة اليهودية ، ثم المسيحية من أقرب الديانات إلينا، وقد عاشتا زمنًا طويلاً فى عصر التاريخ والعلم ، وعُنى بهما المؤرخون والمؤلفون ، ولا تزالان ديانتى أمتين كبيرتين نشيطتين فى الثقافة والتأليف والسياسة ، والبيت المقدس وما حوله من آثار ومشاهد ملتقى هاتين الديانتين ، ومركزهما الروحى الأصيل ، والحج إليه قديم وأصيل عندهما ، ولكن لا يزال هذا الركن الدينى الكبير يكتنفه الشيء الكثير من الغموض والاضطراب ، وقلة المعلومات، (إذا قارنا ذلك بالحج الإسلامى ، الذى تشغل مناسكه وأحكامه وتفاصيله مكتبة واسعة هائلة ، وهو مدوَّن تدوينًا لا يجد فيه الباحث عناء) . وهنا خلاصة ما جاء فى « دائرة المعارف اليهودية » المجلد العاشر [١] :

« إن الحج إلى بيت المقدس الذى كان يدعى بالزيارة

(١) جيويش انسائكلوبيديا : (Jewish Encyclopaedia - Vol- See Pil- grimage).

www.abulhasanalinadwi.org

(RE YIAH) يؤدى فى زمن ثلاثة أعياد (وهى عيد الحصاد) [١] وعيد الفصح (اليهودى) وعيد المظال ، وكان الحج فريضة على جميع اليهود ، باستثناء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم ، والإناث ، والعميان ، والعرج ، والضعفاء والمصابين بأمراض بدنية أو عقلية ، وكانت الشريعة الموسويَّة توجب على كل « حاج أو زائر» أن يأخذ معه «تقدمةً للرب» ولكنها لم تعين المقدار ، وكان رغم إعفاء الإناث والصغار عن الزيارة ، كان يؤمه عدد كبير منهم مع الأزواج والآباء كما هو الشأن فى الأسواق العامة ، ولا تخلو الروايات التى وردت عن عدد الزائرين فى أزمنة مختلفة من المبالغة [٢] ، وكانت الخرفان تذبح فى عدد كبير، وكانت جلود الذبائح تقدَّم إلى حراس الخانات الذين

(١) جاء فى دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان «عيد الحصاد »، وهو من أعياد الحج الثلاثة التى كان جميع الذكور مكلفين فيه بالحضور فى بيت المقدس ، اقرأ عنوان : (Pentecos) .

(٢) منها ،ما قيل أنه بلغ عدد الخرفان المذبوحة ، فى عام بين ٦٣ ــ ٦٦م إلى ٢٥٦,٥٠٠ ، فإذا فرض أن خروفًا كان يساهم فيه عشرة رجال من الحجاج يبلغ عددهم إلى أكثر من مليونين ونصف ، حاج أو زائر ، ويذكر مصدر يهودى أنه بلغ عدد الخراف إلى ١٢٠٠٠٠ خروفًا ، وقد اعترف كاتب المقال فى « دائرة المعارف » بأنه لا يخلو من المبالغة .

www.abulhasanalinadwi.org

كانوا يقومون بخدمة الزوار وإيوائهم من غير مقابل .

ولم تنقطع عبادة الحج بعد تدمير « المعبد» أيضًا ، ولما فتح المسلمون بيت المقدس بقيادة صلاح الدين عام ١١٨٧م، تسنَّى لليهود القاطنين فى المنطقة الشرقية أن يزوروا بيت المقدس ، وما عداه من الأمكنة المقدسة (بين دمشق ، وبابل ، ومصر) وقد اعتاد اليهود فى الشرق ولا سيما فى بابل وكردستان من القرن الرابع عشر الميلادى، أن يؤدوا فريضة الحج مرة فى السنة ، على أقل تقدير ، وكان عدد منهم يقوم بهذا الحج مشيًا على الأقدام، وقد كانت الحروب الصليبية مشجعة لليهود فى أوروبا على الحج والزيارة ، وفى عام ١٤٩٢م عندما أجلى اليهود من أسبانيا، وهاجر عدد كبير منهم إلى مناطق المسلمين، تضاعف عدد اليهود الزوار ، وربما كانوا يجتمعون على قبر النبى صموئيل فى قرية الرامة [١] ، حيث كانت تقوم أسواق عيدهم السنوى، وتقام التقاليد الدينية .

---

(١) قرية فى فلسطين (الجليل) .

www.abulhasanalinadwi.org

يعاتب اليهود إخوانهم القاطنين فى بلدان أخرى ، الذين ضعفت فيهم رغبة الحج والزيارة ، وزهدوا فيهما ، بينما ينتهز المسيحيون الفرص لزيارة الأرض المقدسة .

وللحج أيام معينة يسميها اليهود فى الشرق وشمالى أفريقيا أيام الزيارة ، وقد شاع فيهم أن يزوروا فيها قبور عظمائهم ، ومنهم من اشتهر كملك ، أو كنبى ، أو كصالح ووليّ ، وهم يحتفلون بهذه الأيام بالإكثار من الأدعية وإظهار الفرح والسرور ، شأنهم فى الأعياد العامة، ويجتمعون بين مساء اليوم السابع عشر من تموز إلى اليوم التاسع من «آب» ثلاثة وعشرين يومًا متوالية، مقابل الجدار الغربى لهيكل «سليمان» ، وتبتدئ هذه العبادة فى اليوم التاسع من آب ، من نصف الليل .

وهنالك مشاهد وضرائح وأمكنة محلية ، يُشد إليها الرحال فى كل قطر وبلد [١] .

أما الحج والزيارة عند المسيحيين ، فهنا خلاصة لما جاء

---

(١) راجع دائرة المعارف اليهودية . عنوان «Pilgrimage» .

www.abulhasanalinadwi.org

فى « دائرة معارف الأديان والأخلاق » :

« الحج اسم للرحلة التى يقوم بها الإنسان لزيارة المشاهد المقدسة ، مثل مشاهد الحياة الدنيوية لسيدنا عيسى عليه السلام فى فلسطين ، أو مراكز زعماء الدين المقدسة فى «روما» ، أو الأمكنة المقدسة التي تنسب إلى المقبولين من الزّهاد والشهداء .

إن الجيل المسيحى الأول لم يشعر بضرورة زيارة مشاهد المسيح والتبرك بها ، بالنسبة إلى المتأخرين الذين عنوا بذلك أكثر ، ولكن انتشرت هذه الزيارة من القرن الثالث المسيحى ، وقد شغف عدد كبير من المسيحيين بالبحث عن مشاهد المسيح وآثاره ، وزيارتها ، وعنوا بذلك أكثر مما عنوا بتتبع تعاليمه ووصاياه .

وقد شاعت زيارة مشاهد روما من القرن الثالث عشر على حساب زيارة الأرض المقدسة ، وإن لم تنقطع زيارة الأرض المقدسة بتاتًا ، وكانت « روما» المدينة التى تلى بيت المقدس فى الأهمية ، يؤمها الناس للزيارة فى عدد كبير وجمّ غفير .

www.abulhasanalinadwi.org

إن الأسباب التى بلغت بها البابوية قمتها ، جعلت روما مركزًا للزيارة ، ولا سيما ، فإن ضريحى القديس بطرس ، والقديس بولس قد أضفتا عليها من العظمة والجلال ما جعلها مثابة للمسيحيين الكاثوليك فى العالم كله، وازدحموا فيها ازدحامًا كبيرًا ، وقد كان إقبال الزوار عظيمًا على سراديب الأموات (Cata Combs) [١] التى تقدَّس لأجل عظام الشهداء ، إن الزوار لم يتوقفوا عن زيارة «روما» فى أى فترة من فترات التاريخ ، وقد جعلتها كثرة الكنائس والآثار التاريخية المقدسة محط أنظار الناس فى كل زمان .

والقارئ يتخم بكثرة أسماء القبور والضرائح والمشاهد العامة فى أرض فلسطين ، والمحلية المنتشرة فى كل قطر أو ولاية ، أو بلد يقطنه اليهود والمسيحيون من زمن بعيد ، وصاحب مقال « الحج والزيارة» فى «دائرة المعارف اليهودية» وفى «دائرة الديانات والأخلاق» يسرد أسماء ضرائح ومشاهد للصالحين والمقبولين فى أقطار أوروبية

(١) تقع أشهر هذه السراديب فى الفاتيكان .

www.abulhasanalinadwi.org

وآسيوية مختلفة ، ويذكر الأيام والشهور التى تزار فيها ، وما لهذه الزيارات من آداب وتقاليد ، وإذا تأمل القارئ فى مدى اهتمام اليهود والمسيحيين بهذه المشاهد ، وتقديسهم لها ، وتجشم الأسفار والمتاعب فى سبيلها ، وكيف شغلتهم واستحوذت على مشاعرهم فى كل زمان ومكان ، وكيف أثارت فيهم الغلو فى التقديس والتعظيم ، حتى وصلوا إلى حد الشرك ، وعبادة غير الله ، عرف سر شدة إنكار النبى ﷺ على هذه العادة ، وإشفاقه من أن يتسرب ذلك إلى المسلمين ــ حملة لواء التوحيد إلى الأبد، والأمة الأخيرة ــ وحرصه الشديد على أن يبقى ضريحه ومثواه الأخير بعيدًا عن كل شرك وعبادة وغلوّ ، وكان ذلك هو الشغل الشاغل له فى مرضه الأخير ، فقد روى البخارى عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتمّ بها كشفها عن وجهه ، فقال ، وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا . وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ،

www.abulhasanalinadwi.org

وعن عائشة رضي الله عنها : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية ، فذكرت له ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»(١)، وثبت عنه ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) .

وقد ضيّق الرسول ﷺ السبيل فى وجه تجشّم السفر الطويل ، وشدّ الرّحل إلى المشاهد والضرائح ، والأمكنة المتبرّكة بقوله المأثور المشهور : « لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى » (٣) فوقى بذلك أمّته من الوقوع فى فتنة المشاهد والآثار ، كما وقع فيها اليهود والنصارى ، والأمم الجاهلية ، وكانت فريسة الشرك والوثنية السافرة أحيانًا

(١) الجامع الصحيح للبخارى ، كتاب الصلاة ـ « باب الصلاة فى البيعة » .
(٢) رواه مالك فى الموطأ .
(٣) رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، مرفوعًا .

www.abulhasanalinadwi.org

كثيرة .

ولكن طوائف من المسلمين فى القديم والحديث لم تعمل بوصيّته التى لم ينسها فى آخر عهده بالدنيا ، ولم تُلقِ لها بالاً ، وافتتنت بالمشاهد والآثار ، وشدّ الرحل إليها من بلدان نائية ، والعكوف عليها تبرّكًا وتعبدًا ، افتتانًا عظيمًا ، فكان ذلك تصديقًا لقوله ، وتحقيقًا لإخباره : «لَتتبعُنَّ سنن من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع» (١) ، واغتصبت هذه المشاهد والضرائح ــ ومنها ما هو مكذوب ومزوّر ــ حظّ المساجد ، وحظ المسجد الحرام فى بعض الأحيان ، وقد جعلها الجهّال فى كثير من الأقطار «كعبة» يشدّون إليها الرّحال ، ويقصدونها من نواحٍ بعيدةٍ، وقد اتخذوها عيدًا يعودون إليه فى كل سنةٍ ويجتمعون فى عدد كبير ، ويقيمون الأسواق .

وقد أجاد شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمّية فى

(١) عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قيل: يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟» (متفق عليه) .

www.abulhasanalinadwi.org

وصف هذه الطوائف بجملته التاريخية البليغة ، «مشاهدهم معمورة ، ومساجدهم مهجورة » [١] والسائح فى الأقطار الإسلامية يواجه هذه المشاهد والضرائح ، ومساحاتها الواسعة ، وأبنيتها الضخمة ، وقبابها الرفيعة فى كل بلد يمرّ به ، ويرى هنالك من أعمال شركيّة كالسجود ، والنّذور والذبائح ، وأدعية وسؤال من صاحب الضريح ، ما يندى له جبين الإسلام .

أما الديانات الهندية ــ بما فيها من البوذية والجينية والبرهميّة ــ فقد كثرُت فيها المشاهد والمعابد ، والأمكنة «المقدَّسة » المقصودة من النواحى والأطراف كثرة فاحشة بطبيعة الحال ، وهى الأمكنة التى يرون لها شرفًا عظيمًا ، وقُدسًا خاصًا ، ويعتقدون فيها بركة لما حدث فيها من الوقائع العظيمة ، وأُكرم فيها بعض عظمائهم بالقُرب أو الكلام ، أو الوصول والمعرفة ، أو تجلَّت فيها بعض آلهتهم ــ كما يزعمون ــ تجلِّيًا خاصًا ، وكثرت فيها الأعياد

(١) راجع ما قاله شيخ الإسلام فى هذا الموضوع فى الجزء الأول من منهاج السنة ــ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

www.abulhasanalinadwi.org

الدينيّة، والمواسم والأسواق ، التى انصبغت بصبغة الدين.

وأكثر هذه المشاهد والأمكنة المقدَّسة على ساحل نهر «الكنج»(GANGES) المقدَّس ، يجتمع فيها أهل البلاد فى عدد هائل ، للاغتسال فى النهر المقدَّس ، ومنها ما يجتمعون فيها سنويًا ، أو عدة مرات فى السنة ، ومنها ما يجتمعون فيها بعد سنين ، كغسل KUMBH الذى يجتمعون له بعد اثنى عشر عامًا ، عند ملتقى نهرى «الكنج وجمنا» فى برياك (PARAYAG) [1] ومن أشهرها مدينة «بنارس» فى الولاية الشمالية ، على نهر «الكنج» ويُعدُّون الاغتسال فيه كفّارةً للذّنوب ، ومن أعظم الحسنات والقربات ، ويؤثرون الموت فى هذه المدينة ، وتنقل إليها جُثث الموتى من النواحى البعيدة ، لتُحرق هناك ، أو تُترك فى النهر على اختلاف العقائد والعادات والطوائف الهندية، ومنها بلدة «اجودهيا» التى كانت مركزًا «لراما» (RAM CHANDER) و«متهرا» التى لها اتصال بتاريخ «كرشنا»

(١) من ضواحى « إله أباد » المدينة المشهورة .

www.abulhasanalinadwi.org

(KRISHNA) ، ومنها «هردوار» [١] وكلّها فى الولاية الشمالية الغربية ، وهنالك مشاهد وشواطئ ، ومعابد هامّة تُعدّ بالعشرات فى شبه القارة الهندية ، تختلف فيها العادات والتقاليد باختلاف الأقاليم والمناطق ، وباختلاف الطوائف التى تدين بها .

ومن أعظم المراكز المحجوج إليها عند البوذيين مدينة «كيا» (GAYA) فى ولاية «بِهَار» التى قضى فيها مؤسس هذه الديانة المؤَلَّهُ «كوتم بده» GOTAM BUDDHA مدةً طويلةً ، وتشرَّف بالشهود أو المعرفة ، التى يسمونها «نيروان» NIR VAN .

والأعياد والأسواق التى تُقام فى هذه الأمكنة المقدّسة، وعلى الشواطئ ، مسرح الفوضى والجنايات ، ويتجلَّى فيها عدم النّظام، وعدم النّظافة لكثرة الزوّار والقاصدين الذين قد يبلغ عددهم ــ خصوصًا فى الأعياد والأسواق التى تُقام بعد مجموعة من السنين ــ إلى ملايين من النفوس ، رغم حرص الحكومة على إقامة النظام

(١) معناه باب المعبود ، أو باب الإله .

www.abulhasanalinadwi.org

وقوانين الصّحة ، والوقاية من الأمراض ، وتقترن بتقاليد جاهلية ، وأعمال شركيّة ، وأساطير الآلهة والإلهات القديمة ، ومن إعجاز القرآن ، أنه لما ذكر حج البيت الذى بناه إبراهيم وحث عليه ، نعى على الشرك والوثنية والزور الذى تلوَّثت به المناسك ، وأعمال الحج والزيارة فى الديانات والأمم الأخرى ، فقال : ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾ [الحج : ٣٠ ، ٣١] .

هذه صورة مجملة لأساليب الحج والزيارة ، والرحلة الدينية فى ديانات العالم الرئيسية ، التى لا يزال لها أتباع ومؤمنون يُعدّون بالملايين ، وملايين الملايين ، وقد كان شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى رحمة الله عليه ، عميق النظر ، واسع الاطلاع ، غير مجانب للصواب والإنصاف ، إذ قال فى كتابه « حجة الله البالغة» وهو يتكلّم فى موضوع الحج :

www.abulhasanalinadwi.org

«وأصل الحج موجود فى كل أمة ، لا بدَّ لهم من موضع يتبرّكون به ، لما رأوا من ظهور آيات الله فيه ، ومن قرابين وهيآت مأثورة عن أسلافهم يلتزمونها ، لأنها تذكر المقرَّبين وما كانوا فيه .

وأحقّ ما يحج إليه بيت الله ، فيه آيات بيّنات ، بناه إبراهيم صلوات الله عليه ، المشهود له بالخير على ألسنة أكثر الأمم ، بأمر الله ووحيه بعد أن كانت الأرض قفرًا وعرًا ، إذ ليس غيره محجوج ، إلاَّ وفيه إشراك أو اختراعُ ما لا أصل له »[1] .

ويستطيع القارئ فى سهولة أن يُقارن بينها وبين الحج الإسلامى ، ويَعرف مفارقات بينها وبين هذا الركن الرابع ، ويقرأ قوله تعالى ، ويحدِّث بنعمة ربِّه : ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الحج : ٦٧] .

دور الإسلام الإصلاحى فى تشريع الحج :

وقام الإسلام ــ شأنه فى الأركان الثلاثة الأخرى ــ

(١) حجة الله البالغة ج١ ــ ص٥٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

بدوره الإصلاحى التجديدى فى الحج ، وقد كان أهل الجاهلية قد أدخلوا فى الحج عادات جاهليَّة ، وأمورًا ابتدعوها ، ما أنزل الله بها من سلطانٍ ، واصطلحوا على أشياء، وتواضعوا عليها من الزمن القديم ، فكان تحريفًا فى الحج الذى شرعه الله على لسان إبراهيم ، وتوارثته قبائل العرب جيلاً بعد جيل جنى على كثير من مقاصده وفوائده، وكانت الحميّة الجاهلية ، والنخوة القبليّة ، وما كانت عليه قريش من التفاخر والكبرياء ، وحرصهم على التميُّز ، هو الباعث الأكبر على هذه الزيادات والتحريفات ، فجاء القرآن والتشريع الإسلامى بإزالة هذه البدعة والتحريفات ، وإبطالها ، وقد تصدى القرآن الحكيم لكل بدعة من هذه البدع ، ولكل موقف من مواقف الجاهلية الدخيلة ، فاجتثّه واستأصل شافته ، وأبدله بخير منه .

فمن ذلك أن قريشًا لم يكونوا يدخلون عرفات مع الحجيج ، بل يقفون فى الحرم ، ويقولون : نحن أهل الله فى بلدته وقُطّان بيته ، ويقولون: نحن الحُمس [1] ، وما ذلك إلاّ ليتميّزوا عن سائر الناس ، ويحافظوا على مركزهم

(١) قال العلامة محمد طاهر الفتنى فى « مجمع بحار الأنوار»: حمس هو جمع أحمس : وهم قريش ومن ولدته وكنانة وجديلة قيس ، لأنهم تحمسوا فى=

www.abulhasanalinadwi.org

الجاهلى ، وعلى ما كانوا يتخيّلونه من سموّ وامتياز ، فأبطل الله هذا الامتياز الجاهلى ، وأمرهم بأن يعملوا كما يعمل الناس ، ويقفوا بعرفات ، وقال : ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاس** ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وروى البخارى بإسناده عن عائشة رضي الله عنها : « كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمّون الحُمس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلّما جاء الإسلام ، أمر الله نبيّه ﷺ ، أن يأتى عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله: ﴿ **مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاس** ﴾ قال ابن كثير : وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدى، وغيرهم رضوان الله عليهم واختاره ابن جرير ، وحكى عليه الإجماع .

ومنها أن أهل الجاهلية ، كانوا قد اتخذوا الموسم سوقًا للتفاخر والمساجلة كما كان شأنهم فى «عكاظ» و«مجنة» و«ذى المجاز» ، وكانوا ينتهزون كل فرصة للاجتماع وتلاقى القبائل للتطاول بالأنساب ، ومآثر الآباء وعدّ

= دينهم ، أى تشددوا .

www.abulhasanalinadwi.org

المفاخر ، وكان الاجتماع فى «منى» خير مكان لإرضاء العاطفة الجاهلية ، فنهى الله عن ذلك ، وأبدلهم بما هو خير منه ، وهو ذكر الله ، فقال : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة : ٢٠٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان أهل الجاهلية يقفون فى الموسم، فيقول رجل منهم : كان أبى يُطعم ويحمل الحمالات ، ويحمل الديات ، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم ، فأنزل الله على محمد ﷺ : ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾.

ومنها أنّ الحج قد فقد على مرِّ الأيام شيئًا كثيرًا من قُدسه وطهره ونزاهته ، وأصبح عيدًا من أعياد الجاهلية ، ومكانًا للّهو والخصام ، فذمَّ الله ذلك فى القرآن ، وقال : ﴿ **فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة :١٩٧] قال ابن كثير : قال عبد الله بن وهب : قال مالك : قال الله تعالى : ﴿ **وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ فالجدال فى الحج ، والله أعلم ، أنَّ قريشًا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة ، وكانوا يتجادلون ، يقول هؤلاء: نحن أصوب ،

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول هؤلاء : نحن أصوب ، هذا فيما نرى ، والله أعلم، وعن محمد بن كعب قال : كانت قريش إذا اجتمعت بمنى ، قال هؤلاء : حجّنا أتمُّ من حجكم ، وقال هؤلاء : حجّنا أتمُّ من حجكم .

ومنها أنَّ العرب كانوا فى جاهليتهم إذا ذبحوا الهدايا والضحايا لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ، ونضحوا عليها من دمائها ، فقال تعالى : ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا** ﴾ [الحج:٣٧] قال ابن كثير : قال ابن أبى حاتم : حدَّثنا على بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبى حماد ، حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج ، قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فنحن أحقّ أن ننضح ، فأنزل الله تعالى : ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾ .

ومنها أنَّ العرب كانوا إذا نووا الحج تحرَّجوا من دخول البيوت من الأبواب ، وكانوا يرون ذلك إثمًا وتفريطًا فى جنب الله وفى جانب الحج ، وكانوا يتسوَّرون البيوت من

www.abulhasanalinadwi.org

ظهورها ما داموا محرمين ، فأبطل الله ذلك ، ونفي أن يكون من أنواع البرِّ ، وقال : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقر:١٨٩] قال البخارى: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحق عن البراء ، قال : كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وكذا رواه أبو داود الطيالسى عن شعبة عن أبى إسحاق عن البراء ، قال : كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم ، لم يدخل الرجل من قِبَل بابه ، فنزلت هذه الآية .

ومنها أنَّ أناسًا من العرب كانوا يستحيون ويتأثمون من أن يخرجوا للحجِّ مع زاد يبلِّغهم إلى البيت ويتجلَّدون ، ويتظاهرون بالتوكل ، ويقولون : نحن ضيوف الله ، ولا نتزود ولا نتبلغ، وكانوا لا يتحرجون من التسول والشحاذة والاستجداء ويعدُّون ذلك فى سبيل الله ، فنهاهم الله عن ذلك ، وقال: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾

www.abulhasanalinadwi.org

[البقرة:١٩٧] قال ابن كثير : قال العوفى عن ابن عباس : كان أناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة ؛ يقولون : نحج بيت الله ولا يُطعمنا ؟ ، فقال الله تعالى : ﴿ **تَزَوَّدُوا** ﴾ ما يكفّ وجوهكم عن الناس ، وأخرج البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزوّدون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فأنزل الله : ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ .

وكذلك كانوا يتأثمون من التجارة فى الموسم ، وذلك تحريم ما أحلّ الله ، روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا فى الجاهلية ، فتأثموا أن يتّجروا فى الموسم ، فنزلت : ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم**﴾ [البقرة:١٩٨] فى مواسم الحج ، وعن مجاهد رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة فى الموسم والحج ، يقولون أيّام ذكر ، فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُم**﴾ .

ومنها أنّ المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراةً ،

www.abulhasanalinadwi.org

ويقولون : لا نطوف فى ملابس عصينا فيها ، فكان ذلك بابًا لفساد عظيم ، وتشريعًا جاهليا ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] رواه مسلم والنسائى ، وابن جرير ، واللفظ له : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا يطوفون بالبيت عراةً ، الرجال والنساء ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحلّه

فقال الله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ وقال العوفى عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينة اللباس، وهو ما يوارى السوأة ، وما سوى ذلك من جيِّد البزّ والمتاع، فأُمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد ، وقال ابن كثير : هكذا قال مجاهد وعطاء ، وإبراهيم النخعى ، وسعيد بن جبير ، وقتادة والسُّدِّى ، والضحَّاك ومالك عن الزهرى

www.abulhasanalinadwi.org

وغير واحد من أئمة السلف فى تفسيرها ، أنها نزلت فى طوائف المشركين بالبيت عراةً .

وقد قُرن ذلك بأمر وتنفيذ من رسول الله ﷺ ، فأرسل أبا بكر رضي الله عنه فى العام التاسع ، وأمره بأن يُعلن : لا يطوف بالبيت عريان ، وقد روى البخارى بإسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه : « أنَّ أبا بكر الصديق بعثه فى الحجة التى أمَّره النبى ﷺ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر فى رهط يؤذّن فى الناس لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان » (١) .

ومنها أنّ الطوائف من أهل العرب كانت تتحرَّج أن تطوف بالصفا والمروة، وكانوا يرون ذلك من أمر الجاهليَّة، فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ [البقرة:١٥٨] قال عروة عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قلت أرأيت قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ**

(١) الجامع الصحيح للبخارى ــ كتاب المغازى «باب حج أبى بكر رضي الله عنه بالناس » .

www.abulhasanalinadwi.org

اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قلت: فوالله ما على أحد جناح أن لا يتطوَّف بهما ، فقالت عائشة رضي الله عنها : بئس ما قلت يا ابن أختى ، إنها لو كانت على ما أوَّلتها عليه ، كانت فلا جناح عليه أن يطَّوف بهما ، ولكنّها إنما أنزلت ، أن الأنصار قبل أن يُسلموا كانوا يهلُّون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها عند المشلّل ، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ ، وقالوا : يا رسول الله إنّا كنا نتحرَّج أن نطوف بالصفا والمروة فى الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ [البقرة:١٥٨] قالت عائشة رضي الله عنها : ثم قد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما ، (أخرجاه فى الصحيحين) ، وقال البخارى رضي الله عنه : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم ابن سليمان ، قال: سألت أنسًا عن الصفا والمروة ، قال: كنَّا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ،

www.abulhasanalinadwi.org

أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

وبهذه الإصلاحات البعيدة الأثر ردَّ التشريع الإسلامى هذا الركن العظيم ، إلى أصله الإبراهيمى ، ووضعه الأصيل النَّقى ، البعيد عن تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين (١) .

وقد أحسن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، إذ قال :

« اعلم أنه ﷺ بعث بالملة الحنيفية الإسماعيلية لإقامة عوجها وإزالة تحريفها وإشاعة نورها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج:٧٨] ولما كان الأمر على ذلك، وجب أن تكون أصول تلك الملة مسلمة وسنتها مقررة ، إذ النبى إذا بعث إلى قوم فيهم بقية سنة راشدة ، فلا معنى لتغيرها وتبديلها ، بل الواجب تقريرها ، لأنه أطوع لنفوسهم ، وأثبت عند الاحتجاج عليهم » (٢) .

---

(١) استفدنا فى هذا البحث من توجيهات أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله « فى سيرة النبى» المجلد الخامس .

(٢) حجة الله البالغة ج٢ ــ ص٥٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإسلام دين توحيد وتجريد، لا وساطة فيه، ولا تمثيل	٥
حاجة الإنسان إلى «مشاهد» يوجه إليه أشواقه، ويحقق رغبته من التعظيم والدنو	٧
شعائر الله وحكمتها	٧
عنصر الهيام والحنان في طبيعة الإنسان، أثرهما في الحياة، ومنزلتهما من الدين	٨
«الصفات» هي التي تثير الحب وتبعث الحنان، لذلك أطال وأكثر من ذكرها القرآن	١٠
ما قيمة كأس لا تطفح ولا تفيض؟	١١
تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه	١٢
طفرة، أو قفزة واسعة من سجن ضيق إلى عالم فسيح	١٤
تحدّ لعبّاد العقل والمادة، ودعوةٌ إلى الإيمان بالغيب، واتباع الأمر المجرد	١٥
«الحاج» طوع إشارة، ورهين أمر	٢٠
فضل المكان والزمان، وموسم الحب والحنان	٢١
تجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية «إبراهيم» عليه السلام من أعظم مقاصد الحج	٢٤
إعادة قصة إبراهيم عليه السلام، وتمثيلها في الحج	٢٦
قصة إبراهيم عليه في القرآن وصلتها بالبلد الأمين	٢٧
الحج، تخليد لخصائص إبراهيم عليه السلام ومآثره،	

www.abulhasanalinadwi.org

وتجديد لدعوته وتعاليمه ٤٠
عنوان جديد ، وخط فاصل فى كتاب الإنسانية ٤١
عماد الإنسانية، وقيام للناس ٤١
مركز دائم الهداية والإرشاد والإصلاح والجهاد ٤٢
إلى مدينة الرسول ﷺ ، ومسجده العظيم ٤٣
عرضة سنوية تحفظ على الأمة نقاءها وأصالتها، وتعصم الدين عن التحريف والفساد الشامل ٤٤
مركز الإشعاع العالمى الخالد ٤٧
مظهر الجامعة الإنسانية الإسلامية ٤٩
ليشهدوا منافع لهم ٥١
يجب أن يمثل البلد الأمين الحياة الإسلامية ، والمجتمع الإسلامى المثالى فى كل زمان ٥٢
يجب أن يبقى «البلد الأمين» محتفظًا بطراز خاص ، والحج بروح الجهاد والتقشف ٥٥
التشريعات الحكيمة لزيادة فائدة الحج، وتقوية أثره فى النفس والحياة ٥٧
حجة الوداع وقيمتها التربوية والبلاغية ٦٨
« الحج والزيارة» فى الديانات القديمة ، سماتهما وفوارقهما ٧٣
دور الإسلام الإصلاحى فى تشريع الحج ٨٨
الفهرس ٩٩

رقم الإيداع ٩٧/١٣٠٢٧

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5826- 38- 1

www.abulhasanalinadwi.org